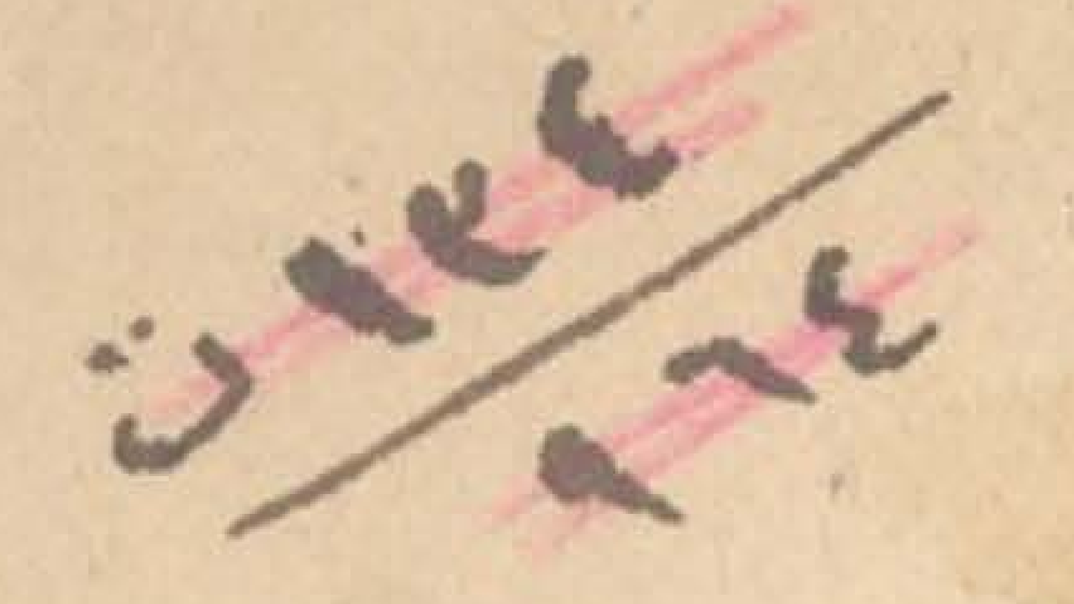


بعض مالم ينشر من :

مذكرات

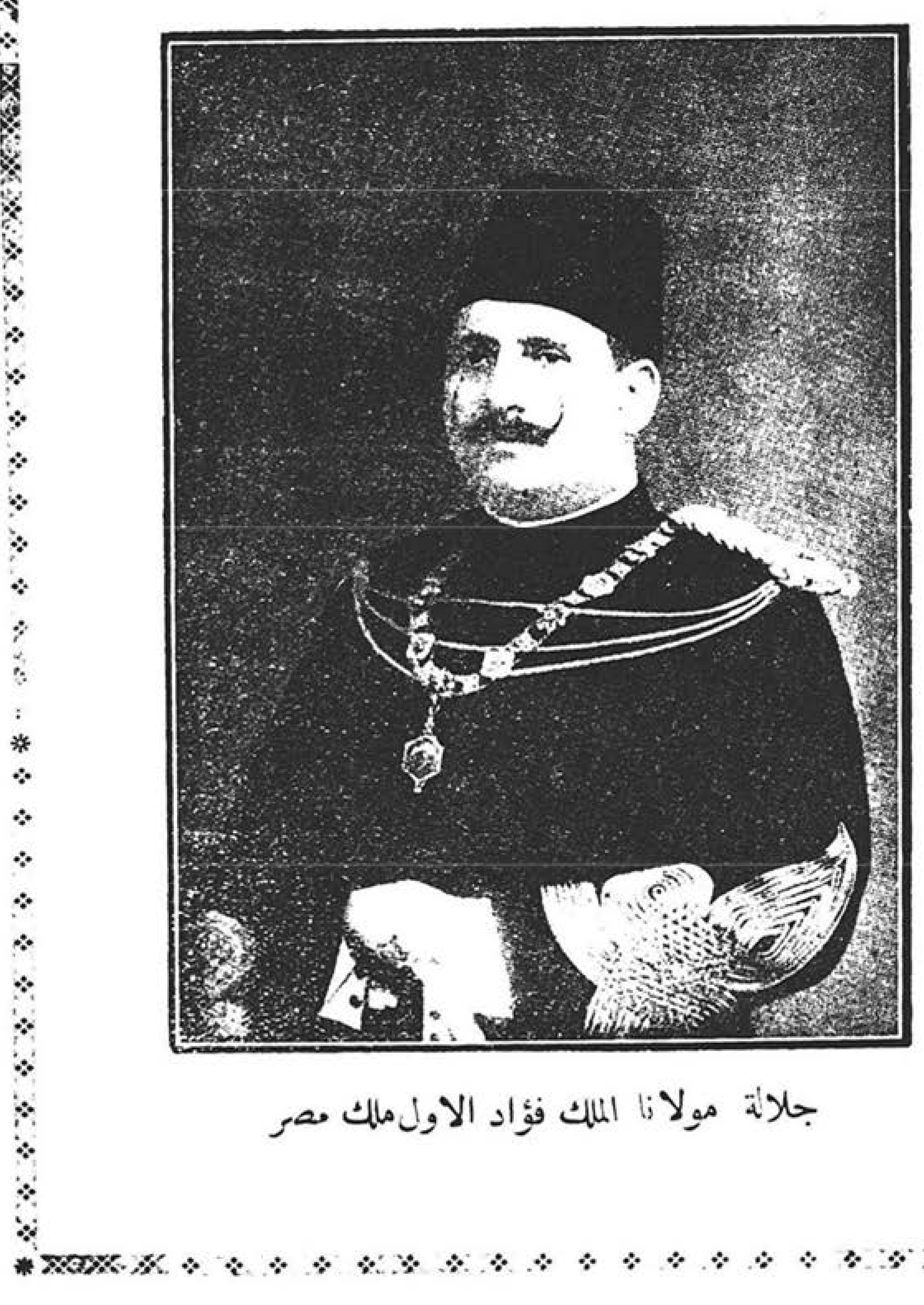
قليني فهمي باشا

على هامش التاريخ المصرى الحديث

بعض حوادث الماضى

اقتراحات لمصلحة الوطن

مطبعة حليم بشارع نوبار باشا رقم ٦١ بمصر



جلالة مولانا الملك فؤاد الاول ملك مصر

اهداء

مرفوع بيد الاكبار والاجلال
الى عتبات حضرة صاحب الجلالة جلالة الملك

فؤاد الاول

ادام الله تأييده وأعزّ نصره وأقر عينيه وعيني الجميع
برعاية خاصة لسمو ولي عهده وسائر انجاله الفخام

لي الشرف الاسمى ، بان ارفع الى مقامكم الاسنى ، بعض الذكريات التي دونت فيها ما شهدته او سمعته او كانت لى به صلة من الحوادث والوقائع التي جرت في عهد والدكم العظيم ومن اعقبوه من الخديويين الذين تداولوا امر مصر قبل تبوء جلالتكم عرش آبائكم الاكرمين ، واجدادكم الامثلين

على ان لي ذكريات اخر ، كلها كبير الشأن ، جدير بالاذاعة المقرونة بالاكبار ، وان هي الا ترديد للمآثر الموطدة والمفاخر المخلدة التي ملأتم بها سمع العصر وبصره ، ونقلتم بها مصر من امارة تحت سيادة ، الى مملكة حرة ذات سيادة ، خفقت اعلام ممثليها في حواضر جميع البلدان الراقية وذاعت محامدها ومناقبها تحت كل كوكب ، وانفسح لها مكان بين الممالك الكبيرة في الخافقين

وقبل ان اشرع فى تدوين تلك المآثر والمفاخر فى كتاب على حدة ، قد اوجب عليّ الولاء والاخلاص الا اخرج هذا الكتاب الا ومفرقه

متوج برسم جلالتكم ، وصدره مزدان باسمكم الذي سيبقى بين اسماء اعاظم رجال التاريخ ، مادام تداول سير المصلحين ، في العالمين

واني لأستميح جلالتكم عذراً في ان اذكر بالايجاز اظهر ما لجلالتكم من الاعمال الكبرى التي اعليتم بها شأن ملككم وطوقتم جيد امتكم المخلصة ، وان كلا من تلك المفاخر لتنطق من مجرد ذكرها ببيان ما دق وجل من معانيها ، وبالدلالة على ما قرب وبعد من مراميها

وهل في صحف المجد مما يؤثر عن اعاظم الملوك مثل ما الخصه في هذه الصحيفة من كل مأثور عن جلالتكم

ففي عهدكم الميمون

خرجت مصر من التبعية التركية واصبحت مملكة مستقلة ، عزيزة الجانب ، ذات نظام مقرر لعرشها ووراثته وترتيباته كأحسن ما يرى من مثلها في انظمة الممالك الكبرى

وفي عهدكم الميمون

وضع الدستور وانشيء البرلمان

انشيء التمثيل السياسي لدى دول الغرب والشرق

اشتركت مصر في اهم المؤتمرات العامة التي عقدت في البلدان الاخرى وعقدت ثلاث مؤتمرات عامة في مصر عدا ما تقرر عقده منها في بعض السنوات التالية ، ولبت الدول دعوتها اليه

تسنى لمصر ان تفخر بزياراتكم لاوروبا حيث قابل جلالتكم ملوكها وامراؤها ورجال السياسة واساطين العلم والادب والفنون فضلاً عن

الجماهير فى كل بلد باعظم حفاوة رجعت عائدتها بكرامة غير مسبوقة على بلادكم ، وزاركم غير واحد من الملوك والامراء الغربيين والشرقيين فلقوا من عنايتكم وتبينوا من عظم ملككم ماجاوز ظنونهم

وفى عهدكم الميمون

ضوعفت العناية بالصحة العامة اضعافاً ، وانشئت لها المنشآت الجمة ، وبذلت فيها لمكافحة الامراض ، مجهودات عظيمة

اقر العدل فى نصابه احسن اقرار بصنوف العنايات التى وجهت الى المحاكم ، وتوسيع نطاق الاستئناف العالى فيها ، ووحدت وجهة القانون بانشاء محكمة النقض والابرام العليا

سيرت الشؤن الاقتصادية تسييراً محكماً ، وكان ما أتت به الحكومة بعناية وزيركم الاكبر عملا باوامركم الصائبة فى تدارك علل الازمة العالمية التى اصاب مصر منها أثر شديد الخطر ، ما اصلح المعتل من الامور جهد المستطاع ، وامن الملاك على املاكهم ، بعد ان تعرضت للضياع بالبيع الجبرى كما ان المزارعين الذين عجزوا عن زراعة اطيانهم بسبب الضيق المالى قد مدهم بنك التسليف الزراعي بالمال والسماد والتقاوي مما كانت له نتيجة حسنه في تخضير جميع اطيانهم فدرأ الخطر الشديد ، وثبت حسن السمعة المالية للبلاد ، واكد الثقة العالمية بها

كثرت شعب المواصلات وفروعها فى السكك الحديدية والسيارات بما زاد سهولة الانتقال فى كل مكان فى المملكة ، ورقيت نظم التليفون والتلغراف السلكي واللاسلكي على احدث ما ترى تلك النظم فى الممالك الراقية

ادخات تحسينات جمة لا تقوم بأثمان على اعمال الري والصرف وأجدرها بالذكر اقامة قناطر نجع حمادي وتعلية خزان اسوان ، ومازالت تلك الاعمال الحيوية تتوالى بما يدر الخير الوفير على البلاد وسكانها

حسنت شؤون الزراعة تحسيناً فى كل الفروع العامية والعملية ووسع نطاق التعاون وشرع فى تنويع المحصولات شروعاً موفقاً وفتحت اسواق جديدة لغلات المملكة

تقدمت الصناعة تقدماً محسوساً في مختلف ضروبها وسارت شوطاً بعيداً في سبيل التكامل مما يبشر بخير وفير عاجل

خصت المعارف بالنصيب الاوفر من عناية جلالتكم، ولا عجب فمن اكبر النعم على الامم ان يقوم على رأسها ملك متنور حكيم — فهذه الجامعة المصرية التي لجلالتكم فضل تأسيسها ومدارجتها فى تقدمها قد ارتقت الى مستوى المعاهد الكبرى من نوعها ، وهذه الجامعة الازهرية وما يتصل بها من المعاهد الدينية قد احدث لها نظام كفيل بان تستمر لها اوليتها بين الجامعات الشرقية الدينية والتفوق المطرد عليها ، ونمت معاهد الفنون الجميلة تلقيناً وتطبيقاً

وهذه مدارس الحكومة قد ازداد عددها من ٤٥٣٦ حين تبوأ تم العرش الى ٥٨٠٧٠ وزاد عدد تلامذتها من ٣٢٢٦٢٥ الى ٦٩٧٦١٤ عدا تلاميذ المدارس الاخرى مما يبلغ مجموع طلاب العلم اليوم نحو المليون وفى عهدكم الميمون

نمت الجمعية الجغرافية وجمعية الاحياء المائية وجمعية الاقتصاد السياسي

والاحصاء والتشريع نمواً كبيراً بعطفكم المتوالى على كل منها

ونمت الجمعيات الخيرية المتعددة واخصها جمعية الاسعاف التى تكاملت فى هيئتها المركزية ، وتكاثرت فروعها فى القطر واحكم ارتباطها بها عملا بنصحكم الكريم

وفي عهدكم الميمون

كثر توافد السياح على البلاد لتوافر الاستكشافات الاثرية العظيمة وللتحسين الشائق فى المدن ، وتعميم الماء الصافى والانارة والحدائق فيها ولاطمئنان القلوب وانشراح الصدور فى كل مكان يطلب فيه الغريب نزهة أو شفاء أو معرفة جديدة

وكذلك أغدقت الاعانات على المجددات فى ضروب الرياضة البدنية التى احرزت بها مصر سمعة عالية ، وجددت لها بها شبيبة سليمة الابدان ذكية العقول

أما الانعامات التى اسبغتموها على أعمال البر بأنواعها ومنها شد ازر الآداب والفنون فحسبى ان اذكر منها امرين .

احدهما ان ماانفقتموه جلالتكم من جيبكم الخاص قد اناف حتى الآن على مائتى الف جنيه . وقلما سمع بمثل هذا فى سخاء الملوك

وثانيهما ان سراة القطر وأعيانه قد اقتدوا بقدوتكم الشريفة فساروا فى اعمال البر التى لم يعهدها القطر في غير زمانكم . وقد اصبحت لاتعد وإذا جاز لصاحب هذه الذكريات ان يشير الى ما كان فى نفسه من الاثر المبارك فى التأسى بأسوتكم العظيمة فهو يجرؤ ان يذكر هبته لمجلس مديرية المنيا

وهي ارض بنيت عليها اربع مدارس احداهن شرفت وتوجت باسم سمو الاميرة فائزة كريمة جلالتكم ، وقد قدر المجلس قيمة تلك الهبة بعشرين الف جنيه وكذلك قد خص خادمكم المتواضع داريه المشيدتين في مغاغة وفى حلوان: الاولى برعاية الطفل والولادة مرصداً عليها ٧٥ فدانا من اجود اطيانه والثانية بتعليم البنات مرصداً عليها ٦٠ فدانا — وانما عرضت لعملى بهذه الكلمات لعلمي انه يحوز جانب رضا كم الاسنى لفرط كلفكم بكل امر تتكامل به الرفاهة والسعادة ببلادكم

ولو اردت ان استوفى مع نهاية الايجاز بيان مآثر جلالتكم لابت الحصر فكيف بها فى مثل هذا النطاق الضيق ؟

فأرجو يامولاى ان يقع هذا الاهداء من عالي نظركم موقع القبول الحسن وان تجدوا فيه آية جديدة من آيات الولاء الصادق والوفاء الدائم اللذين وقفت نفسي عليهما لذاتكم الكريمة في عهد البرنس احمد فؤاد واستمرا ينموان ويزدادان في عهد جلالة الملك فؤاد ؟

من العبد الخاضع المتواضع

قليني فهمى



﴿ قليني فهمي باشا ﴾

مذكرات

قليني فهمي باشا

بيان لا بد منه

هذه ذكريات تناثرت فى احاديث سمعها مني فريق من الاصفياء الاوفياء فرغبوا الي فى تدوينها فلم يسعني الا اجابتهم . ورغبة الاحباء امر مطاع

دونتها من حاضر الذهن ، لم الجأ فيها الى مطالعة او مراجعة ، وسقتها سوق الحديث يتصل احياناً ، وينفصل احياناً ، ليتفكه بها الواقف عليها ويستجلى من اثنائها بعض الحقائق التي لم تجلها الي الآن مباحث المؤرخين لقرب العهد بها

وا كثر ماورد فيها مما شهدته أو سمعته او كان لى به شأن ، ولعل هذه الذكريات بما تخيرته لها من الاسلوب السهل النزيه، القريب التناول، تقع من نفوس قرائها مثل موقعها من نفوس سامعيها

والله يتولاني واياهم بجليل عونه وجميل عنايته ؟

قليني فهمي

في عهد
ساكن الجنان سمو الخديوى اسماعيل

تمهيد

كانت مصر قبل ان يتولاها الخديوي اسماعيل معدودة ولاية تركيه وكان من يتولاها من الحكام يلقب بلقب «الوالي» ، تستمد سلطتها واوامرها من السلطنة العثمانية ، فكانت العملة تضرب باسم السلطان ، والرتب والنياشين تعطى بفرامانات سلطانية وكان غير مباح لمصر ان تعمل سلماً خاصة بها ، ولا تعقد معاهدات من نفسها مع دول اخرى ، وكان قاضي قضاة مصر — اعني رئيس المحكمة الشرعية العليا — يتعين من الاستانة بفرمان سلطاني

فاهتم سمو الخديوى اسماعيل ، وكان أكثر الخديويين نشاطاً ، وحباً للظهور ، حتى تحصل على جملة امتيازات أوجدت مصر فى شبه مستقلة ولم يكن للدولة العلية سلطة عليها فى امر سوى دفع خراج — (جزية) — لها معين سنوى فى نظير ذلك ، كما انه تحصل على استبدال لقب «والي» بلقب «خديوى»[1] فجعل همه تنظيم حالة البلاد ورقيها فانشأ السكك الحديدية .

---

(١) ولما كان اللقب المعروف لحكام مصر هو لقب والي مصر وظل هذا اللقب معروفاً الى عهد الخديوي اسماعيل — فاسماعيل الذي كانت مطامعه كبيرة جداً ، اراد ان ينال لقباً عالياً عن تلك الالقاب يشعر بمقتضاه أنه ملك مستقل في بلاده ، حر في أعماله ، فسعى الى ان نال لقب خديوي ، الذي خوله عمل معاهدات مع الدول الاجنبية ، وصك نقود ، وسن قوانين لمصالح ادارية ونحو ذلك من جميع الاعمال الداخلية التي كانت محرمة على سلفائه ، كما انه سعى لدى السلطنة سعياً مقروناً بالنجاح لحصوله على حصر الوراثة في ذريته بعد ان كانت تعطى للاكبر فالاكبر سناً من عائلة محمد علي باشا — وصرف على ذلك اموالا طائلة



الخديوي اسماعيل باشا

عن المقتطف

بالبلاد خصوصاً بالوجه القبلي ، حيث كان لا يوجد به سكك حديدية بالمرة ، واهتم كثيراً بتحسين الري ، ففي عهده بنيت كثير من القناطر ، وشقت ترع عديدة للري منها ترعة الابراهيمية وترعة الاسماعيلية ، وانتشرت المدارس ، وتقدم التعليم وأوقف كثيراً من الاطيان لصرف ريعها على المدارس ، كما انه أوقف تفتيش الوادى ومساحته ٢٢ الف فدان على كتاتيب الامة المصرية من نصارى ومسلمين ، وظل هذا التفتيش تابعاً لوزارة المعارف العمومية ، وأخيراً عملت مساع لتتبعه لوزارة الاوقاف ، كما انه بعث في وقته بعثات عديدة لاوروبا طلباً للعلم - وانتظم حال الازهر انتظاماً يدل على التقدم والرقى ، وفى عهده أيضاً انتشرت زراعة القصب والقطن ، وأنشئت فابريقات السكر ، حيث كان يوجد منها فى الوجه القبلي ثمانية عشر فابريقة ، من أكبر الفابريقات ، منها فى مديرية المنيا وحدها ١٢ فابريقة وثلاثة فى ارمنت وضواحيها و٢ فى الفيوم - وأنشئت جملة مساجد للعبادة كما انه انشأ جملة سرايات من افخر سرايات العالم ، وأنشأ أيضاً كوبرى قصر النيل ، وشارع الهرم ، ودار الاوبرا الخديوية ، التى هي وشارع الهرم تم عملها فى خمسة وأربعين يوماً . وأول رواية مثلت فى الأوبرا الخديوية . هى رواية عائدة المشهورة التى تألفت خصيصاً بناء على طلب سموه . ودفع لمؤلفها المشهور « غاربلدى » عشرين ألف جنيهاً

ثم وجه عناية خاصة بمدينتى القاهرة والاسكندرية ، ففتح بهما شوارع فسيحة فخمه ، وأوجد بها الانوار ، وغرس فيها الاشجار ، وانشأ الحدائق والبساتين والمنتزهات العامة فأوجد بمدينة القاهرة حديقة الازبكية لنزهة

الجمهور، كما أنه أوجد بمدينة الاسكندرية حديقة النزهة للغرض عينه ، مما جعل هاتين المدينتين على نظام اعظم المدن الاوروبية ، وكان شديد الولع بكل جديد ، حريصاً على عرشه ما أمكن

ومن صفاته التي تحلى بها ، انه كان يبغض بغضاً تاماً التعصبات الدينية وكان يرى أن جميع سكان البلاد هم رعاياه المخلصين ، فكان يعامل الجميع بالمساواة ، غير ناظر لا للمذاهب ولا للاديان ،وكان حلو الحديث ، جذاباً للقلوب ، كثير الحركة ، حتى انه كان يشرف على جميع مصالح الحكومة بنفسه ، ويبت فيها بأمره ، وقد استدانت مصر فى عهده فوق المائة مليون جنيهاً صرف جلها فى الاصلاحات والمشروعات التى قام بها لمصلحة البلاد وبعضها فى شؤون خاصة به مثل الحصول من السلطة العثمانية على حصر الوراثة الخديوية فيه وفى انجاله بعد أن كانت للاكبر فالاكبر من عائلة محمد على ، وفى الوليمة التي اقامها فى حفلة افتتاح قنال السويس التى دعا اليها جميع ملوك العالم ، وكان يقصد من وراءها ان ينادى باسمه امبراطوراً على افريقيه، وفى انشاء فابريقات السكر بدائرته . وفى وليمة اقامها للسلطان عبد العزيز فى استامبول التى كان لاجل تحقيقها ضرورة انشاء قصر فخم خاص يليق بجلالة السلطان ان يدخله ليتناول غذاءه فيه ، وفى جملة هدايا قدمت لرجال البلاط العثمانى . وفي هدايا أخرى فخمة قدمت لعظماء المدعوين فى حفلة افتتاح قنال السويس وعلى الاخص للامبراطورة اوجيني امبراطورة فرنسا

حفلة افتتاح قنال السويس

فمن الاعمال البارزة فى عهد سمو الخديوي اسماعيل افتتاح قنال السويس ، ولأهمية هذه الترعة نورد هنا بعض تفصيلات مختصرة عن حفلة افتتاحها

لما تم حفر قنال السويس ابتدىء فى الاستعداد لما يلزم لافتتاحها رسمياً فقام سمو الخديوي اسماعيل لاوروبا ، ومعه حاشية يفوق عددها عدد أى حاشية فى رحلاته السابقة ، فمر ببلاد اليونان وايطاليا والنمسا وألمانيا وفرنسا ولندن وبلاد البلجيك وباقى البلدان الاوروبية لدعوة ملوكها وأمرائها ونبلاءها لحفلة افتتاح قنال السويس ، فكان يقابل فى كل مملكة مقابلة تفوق الوصف وينزل ضيفاً كريماً على ملوكها أياماً عديدة

وكان من جراء انفراده بالقيام بهذه الدعوة ان نظرت اليه تركيا بعين البغضاء حتى أن سلطانها لم يرسل مندوباً من قبله فى هذه الحفلة واكتفى بالايعاز الى سفير انكلترا — الذي ناب عن حكومته — ان يذكر اسمه لدى فتح الترعة ، فكان ذلك موجباً لسرور الخديوى سروراً عظيماً ، لأن وجود السلطان على رأس ذلك الاحتفال كان من شأنه ان يحط من مقام الخديوي فى أعين المدعوين بينما عدم وجوده كان برهاناً محسوساً على جلوس الخديوي فى مصاف الملوك ورمزاً لاستقلال مصر

وقد كانت الامبراطورة أوجيني امبراطورة فرنسا أول من حضرت الى موعد الاحتفال ، فستقبلها سمو الخديوي اسماعيل استقبالا باهراً ،

وأنزلها فى سراي الجزيرة ، التى كان قد شيدها خصيصاً لها ،وقام بشؤون ضيافتها قياماً فاق كل مااعتاده الملوك ، وأعد لها سياحة فى نهر النيل، وكان سموه رافقها لخدمتها أينما وجدت ، فسرت سروراً عظيما مما لاقته فى اثناء هذه السياحة

وبعد ذلك بأيام ابتدأت تصل المياه المصرية البوارج الحربية ، والبواخر والسفن البحرية وعليها المدعوين من عواهل أوروبا وكبار حكامها ومندوبيها ، فكانت هذه الوفود تقابل بالتحية الواجبة باطلاق المدافع التى ماكانت تسكت لحظة إلا وتعود للدوي باستمرار وتضاعف طلقاتها تضاعفاً ارتجت له السماء والارض

وفى الموعد المحدد للافتتاح أخذت بواخر المدعوين تسير فى القنال من بور سعيد الى السويس يتقدمها النسر ـ ركاب جلالة الامبراطورة أوجيني ـ الى أن وصلت الى الاسماعيلية ،حيث أقيم هناك مرقص الاسماعيلية المشهور تحت رئاسة جلالة الامبراطورة أوجيني ، واشترك فيه أصحاب التيجان أنفسهم والامراء والاميرات والخديوي، وقد بذل فيه مالا يستطيع قلم وصفه من البذخ ـ وصنوف اللذات ودواعي السرور . ورتب فيه مقصف حوى مالذ وطاب من صنوف المأكل والمشروب ، وامتزجت بطرب المرقص الموسيقات والالعاب النارية والزينات المؤتلقة بالانوار . حتى لم يبق احد لم يعتبر أنه قد نقل الى عالم الخيالات . فكانت ليلة لم تر العيون لها مثيلا ولن ترى شبيهها الاجيال المقبلة ـ ولا غرابة في ذلك فلقد بلغت نفقات هذه الحفلة أربعة ملايين من الجنيهات الذهب ؟

سمو الخديوى اسماعيل

والزي الاوربى

وسمو الخديوى اسماعيل كان محباً للتقليد الاوروباوي . فهو الذي أدخل زى الملابس الاوروبية بالبلاد . وأمر أن يكون جميع مستخدمي الحكومة متحلين بها ـ كما كان مغرماً بالزراعة والصناعة وانتشارهما بالبلاد راجياً رقيها وتقدمها . وكان مهيباً جداً حتى أنه لو ساح فى نهر النيل كانت جميع المراكب والذهبيات تقف حركتها من المرور بدون أمر ولا تنبيه واذا سكن فى سراى من احدى سراياته تقف حركة مرور شارع تلك السراى ـ وفى زمانه تعددت الضرائب . لاحتياج الحكومة لاموال تقوم بجميع اصلاحاتها . ولكن رغماً عن ذلك كانت البلاد فى ايامه فى افراح دائمة وهناء وسرور

محمد سيد احمد باشا

من أشهر العظماء البارزين فى عصر الخديوي اسماعيل كان المرحوم محمد سيد احمد باشا فانه قدامتاز بصفات خاصة حيث فضلا عن وطنيته الصادقة وأخلاصه للوطن وللعرش كان عائشاً عيشة تقرب من عيشة الملوك حتى انه لما كان يجلس الى مائدة الطعام كان تحت آلاتية من الجواري البيض الحسان يبلغ

عددهن اربعاً وعشرين جارية يشنفن سماعه بالاغانى والالحان الشجية

وقد ذاع صيته فى الاعمال الخيرية وفى تفننه فى اساليب الترف مما استدعى اعجاب سمو الخديوي اسماعيل وخلافاً للقواعد المرعية والتقاليد المألوفة تكرم سموه بزيارته بسرايه بشبرا وتناول على مائدته طعام الغداء ولم يسبق للخديوي ان زار عظيما او اميراً بل خص هذا العطف الاستثنائي بهذا الرجل العظيم « وهو جد حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا رئيس مجلس الوزراء الحالى »

وقد ترك عقباً له هو المرحوم امين سيد احمد باشا وكان متضلعاً فى علم القانون والادارة وقد تقلب فى جملة مناصب حكومية تارة فى القضاء وتارة فى الادارة وكان حلو الحديث سميراً لطيفاً انيساً — وقد ادركته المنية وهو فى منصب وكيل الحقانية — رحمهما الله رحمة واسعة

أفراح الانجال

ومن الاعمال البارزة التي تمت فى أيامه ، أفراح الانجال التي ظلت قائمة أربعين يوماً حوت ملذات وملاهي العالم ونقصد بالانجال سمو الخديوى توفيق وقد تزوج بسمو الاميرة امينة هانم بنت الهامي باشا (ام المحسنين) والسلطان حسين وقد تزوج بالاميرة عين الحياة هانم بنت الامير احمد باشا والبرنس حسن وقد تزوج بالاميرة خديجة هانم بنت الامير محمد على الصغير وزواج اختهم الاميرة فاطمة هانم بالامير طوسن

وفي هذه الافراح اعطيت العطايا واهديت الهدايا بسخاء عظيم ، ووزعت الصدقات على الفقراء والمساكين حتى خيل أن هذه الافراح هي افراح الامة بأسرها

الحوادث البارزة

وحدث أيضاً من الحوادث البارزة فى عهده :

انشاء المحاكم المختلطة ـ تشكيل مجلس النواب الاول ـ مسألة اسماعيل باشا صديق ـ مشترى أطيان الدائرة السنية ـ صرف ماهيات المستخدمين ـ الجيش والوزارة المختلطة ـ حروبه مع السودان والاحباش

الباشوات البارزين

وكان باشوات عصره البارزين فى شهرتهم واعمالهم هم :

نوبار باشا . شريف باشا . رياض باشا . علي مبارك باشا . طلعت باشا . ثابت باشا . خيري باشا . شاهين باشا . راسم باشا . قاسم باشا . االبرنس حسن . البرنس حسين . اسماعيل صديق باشا . سلطان باشا . السيد اباظه باشا . قدرى باشا . اسماعيل محمد باشا . بهجت باشا . عرفان باشا . سلامه باشا . راغب باشا . عبد القادر باشا حلمي . عمر باشا لطفى . علي باشا شريف . مصطفى فهمي باشا

هؤلاء هم ذوات وقته البارزين بأعمالهم وصفاتهم ووطنيتهم وسنتكلم عن كل واحد منهم اجمالياً عند المناسبة والخديوي اسماعيل كان عظيم الحركة ، كثير النشاط ، سخي العطاء ، لا تفوته كبيرة ولا صغيرة ، وكان يمضي شهراً من كل سنة فى مدينة المنيا للاشراف على مزروعاته الخاصة وعلى ادارة معامل السكر ، وكان في ذلك الوقت تتبعه جميع رؤساء المصالح بحيث يتخيل للانسان ان جميع الحكومة انتقلت الى تلك المدينة وذلك رغبة منه فى استمرار مباشرته الدائمة لاعمال الحكومة ، والفصل فى اعمالها فى الوقت الذي يشرف فيه على اعماله الخاصة

وكان في عهده باش اغاي الوالدة باشا المدعو خليل أغا ، ذو نفوذ يفوق نفوذ كل ناظر في المملكة ، وكانت تخضع لاوامره جميع حكام البلاد ، كما سنأتى على ذلك بالتفصيل

وكان سمو الخديوي مغرماً بالحظوظ والمسرات فكان يميل الى سماع المغاني والآلات العربية كما كان يميل الى سماع المغانى الافرنجية ، وكان فى عصره أشهر مغنية تدعى « المظ » ، واشهر مغني يدعى عبده الحمولي نالا من عطفه كثيراً ومن الرعاية والاحسان جزيلا

المحاكم المختلطة

أراد الخديوى اسماعيل ان يجعل مملكته المصرية مملكة تباهي سائر الدول العظمى فى نظامها وترتيبها فأمر بتشكيل مجلس نواب ، وهو



نوبار باشا

عن المقتطف

أول حاكم لمصر فعل ذلك ، كما أمر بتشكيل المحاكم المختلطة القائمة الآن بالبلاد، فكلف وزيراً من أعظم وزرائه قدرة وذكاء وهو المرحوم نوبار باشا أن يطوف بممالك أوروبا ويمهد السبيل لذلك ، كما وينال موافقة تركيا ، وفتح له اعتماداً للصرف غير محدود للوصول الى هـذا الغرض فسعى وكد نوبار باشا لهذه الغاية الى ان كللت مساعيه بالنجاح ، ففرح بذلك سمو الخديوى فرحاً عظيماً ، . حيث نال بغيته ، وامر بتشكيل نظارة الحقانية لهذا الغرض وبهذه المناسبة نذكر ان نوبار باشا قام بجملة اعمال للوطن العزيز تدل على مهارة كبرى ، وفكر واسع مما تذكره له البلاد على الدوام بالشكر الخالد

دخول الاقباط قضاة بالمحاكم

وبمناسبة تشكيل المحاكم نقول انه لغاية حكم اسماعيل لم ينل قبطى رتبة الباشوية الا أن هذا الخديوي هو الذى اشار بدخول الاقباط قضاة بالمحاكم الاهلية التى تشكلت عقب تشكيل المحاكم المختلطة (بسعي المغفور له فخري باشا الذي كان اذ ذاك ناظراً للحقانية وله الفخر الاعظم في اتمام تشكيلها وحسن نظامها مما خلد له ذكراً جميلا بالبلاد) وكان المتبع فى المجالس التى حلت محلها المحاكم الاهلية ان يكون قضاتها وكتابها وسائر خدمتها قاصرة على المسلمين فخالف هذه القاعدة المغفور له الخديوى اسماعيل وامر ان تكون المحاكم الاهلية ممثله لعنصري الامة اعني الاقباط والمسلمين فادخل

فى وظائفها القضاة والكتاب وسائر مايتعلق بها من الاقباط،كما يرى الآن فى نظام المحاكم المذكورة واتذكر ان اول قاض قبطي هو المرحوم عبد الملاك بك كتكوت الذي عين بمحكمة قنا الاهلية كما كان فى عهده وبمقتضي ارادته مباشرة تعيين حكام من الاقباط حيث عين جدي المرحوم يوسف بك عبد الشهيد مديراً لديوان القضايا بمديرية المنيا ، وتلك الوظيفة كانت عبارة عن وظيفة نائب عمومي يقوم بعمل التحقيقات فى القضايا ويصدر احكاماً اولية يتقدم بها للمجالس لتصدر احكامها نهائياً ، وكان الغرض من تعيينه بهذه الوظيفة تمهيداً لتعيينه مديراً للمنيا — وعين ايضاً المرحوم سرور بك القبطى وكيلا لمديرية الدقهلية نرهذه حسنةمن حسناته اوجبت تعلق الاقباط به تعلقاً شديداً يكاد ان يكون فى حكم العبادة،وكان ذلك بمثابة رمز عظيم لاتحاد الامة ببعضها ، ومحو الفوارق والقضاء على التعصبات المذهبية مماجعل سائر سكان البلاد كمائلةواحدة تشترك بالتضامن فى مصالحها ، مما يفرض الشكر المتناهي لصاحب هذه المباديء الشريفة ، والتى تدل على بعد النظر

حكاية

اسماعيل باشا صديق المفتش

وفي عهد سمو الخديوى اسماعيل رحمه الله كان متخذاً وزيراً من وزرائه خليلا له وهو المرحوم اسماعيل صديق باشا فكان هذا الوزير الوكيل المطلق عن الحضرة الخديوية . نافذ الامر فى كل شيء ، بلغ صيته عنان السماء وكان رجلا وديعاً لطيفاً ، وانما كان ينسب اليه ضرب الضرائب على الاهالى مما اثقل عاتقهم وكان بدون أدنى كلفة أمام الحضرة الخديوية بما يستدل منه انه كان ليس وزيراً فقط . بل صديقاً حميما لسموه

هذا الوزير عاش عيشه الترف التى تقرب من عيشة الخديوى ان لم تكن تماثلها وشيد جملة سرايات باق من آثارها سراى وزارة الداخلية وسراى وزارة الماليه وسراى وزارة الحقانية وسراي مجلس الوزراء وملحقاتها وكان يملك من الجواري البيض الحسان اكثر من مائة حورية . وكان فى خدمته وخدمة الحرم خدم لا يحصي عددهم من الاغوات والعبيد والمماليك وخلافهم : ظل هذا الوزير فى هذه المعيشة الهنيئة وتلك العلاقة الودية بسمو الجناب الخديوي زمناً طويلا ؟ الى ان عجزت الحكومة عن دفع اقساط الدين لدولتى فرنسا وانجلترا الذى استدانته منهما ، مما أدى الى قلق

هاتين الدولتين فاتفقتا فيما بينهما على تشكيل لجنة تحقيق تحضر لمصر وتبحث موارد الدولة المصرية وتنظر فى ميزانيتها لترى اذا كان يمكن التوفيق فى سداد اقساط الدين مع حفظ ميزانية الحكومة لادارة شؤونها وفعلا تشكلت تلك اللجنة من فرنساوى وانجليزى وحضرت الى مصر لهذه الغاية

فقلق سمو الخديوي من ذلك وسأل اسماعيل صديق باشا الذى كان وقتها ناظراً للمالية عما يفعله مع هذه اللجنة ، فكان جواب اسماعيل باشا (ماذا أعمل يامولاى إلا أن أقدم لهم الدفاتر والاوراق ليفحصوها ويقولوا مايقولون) ، فلم يسترح الخديوى لهذا الجواب بل زاده قلقاً وتصادف ان كان قدوشي اليه فى حق وزيره بانه متمرد ومشتغل في تدبير دسائس ضد العرش ، انتهز فرصة وجود لجنة التحقيق لانفاذ اغراضه وكان للرجال حساد كثيرون تضامنوا فيما بينهم للايقاع به بطرق الوشاية المذكورة. كل هذه الحالات حدثت فى وقت واحد وكان في ذلك الوقت الجناب الخديوي مضطرب الافكار فأخذ رأي وزرائه وعظماء الدولة فيما يجب عمله امام هذه الحالة فأشاروا على سموه بأنه يحسن اذن ابعاد اسماعيل باشا من مصر الى السودان وفعلا صدرت الاوامر بسفره . ودبرت التدابير اللازمة لهذا الغرض فى سراى الجزيرة حيث كان ينتظره هناك البرنس حسين والبرنس حسن ومصطفى فهمى باشا الذى كان اذ ذاك محافظا لمدينة القاهرة . وبمجرد وصول اسماعيل صديق باشا لسلاملك السراى اعتقل وانزل بوابور « طير سعد » الذى كان معداً لهذا الغرض ومنتظراً



مصطفى رياض باشا

عن المقتطف

بجوار السراى وصار تسفيره تحت حفظ قوة عسكرية على رأسها ضابط جركسي من ياوران السراي يدعى اسحق بك متجهين به الى اسوان ، وفى اسوان اركبوه جملا وساروا به الى دنقلا ، وفى دنقلا توفاه الله الى رحمته تعالى ، وقيل انه مات بالحمي التيفودية ، وكل ماقيل عن وفاته فى كوبري قصر النيل وخلافه فلا حقيقة له بالمرة

عود على بدء

أما الآن فنعود لمن تولى مرافقة اللجنة الخاصة بالتحقيق فقد اتجهت الانظار الى تعيين المرحوم رياض باشا وكان من أكبر المجاهرين على الاسراف الذى أوجب أضمحلال البلاد وتأخرها فكشف امام اللجنة اسراراً كثيرة ولم يترك كبيرة ولا صغيرة ، وقد ترتب على نتيجة تحقيق هذه اللجنة أن وضعت نظامات حكيمة لايرادات ومصروفات الدولة ، ولدفع اقساط الديون لاربابها ولتنفيذ ذلك الغرض شكلت اول وزارة مختلطة بمصر كان يرأسها نوبار باشا وكان وزيراً للداخلية فيها

رياض باشا وللمعارف على مبارك باشا ، وعين لوزارة المالية وزير انجليزي اسمه ريفرس ولسن ووزير فرنساوي للاشغال العمومية اسمه دبلنير

سارت فى طريقها هذه الوزارة بنجاح عظيم ، ولكنها قيدت حرية الخديوي وكان للجيش متأخر مرتبات لم يستطيعوا صرفها فشكوا للحضرة الخديوية ذلك فقال لهم هذا عمل يخص الوزارة فهجم الجيش على الوزارة ، وحصل التطاول منه ضرباً وشتماً على نوبار باشا رئيس مجلس النظار وعلى مستر ريفرس ولسن وزير المالية الانجليزي ، فانتهز الخديوي هذه الفرصة وقال ان النظارة التي تهان هكذا لا يصح بقاؤها في الحكم وأمر بأسقاطها ، وشكل وزارة وطنية برآسة راغب باشا وكانت نتيجة ذلك ان نوبار وولسن ودبلنير سافروا لاوروبا وعرضوا الحالة للدولتين فترتب على ذلك اجماعهما على ضرورة تنازل الخديوي ،

فارسلتا اشارة للخديوى بضرورة تنازله عن العرش ضماناً للمصلحة العامة ولاستمرار بقاء مركز العرش فى انجاله ، فاجابهما بأنه ليس تابعاً لهما حتى يفصلان فى أمره انما هو تابع للباب العالي ، ولا يتلقى امراً من سواه ، فأتجهت انظار الدولتين الى مخابرة السلطنة العثمانية التي لم تتأخر لحظة فى اصدار امرها بعزل الخديوي وتولية أكبر انجاله البرنس توفيق ، وان يتوجه سمو الخديوي اسماعيل مباشرة بعد ترك مركزه الى استانبول ، فأراد



﴿ راغب باشا ﴾

الخديوى بادىء بدء ان لا ينفذ هذه الارادة ، فنصحه المرحوم شريف باشا بانه لاجل خير عائلته يجب ان يقبل تنفيذ هذه الارادة حيث انه غير مستعد بجيش يقاتل جيش الدولة العلية اذا اراد اخراجه بالقوة ، ولا قوة بحرية تعادل قوتها ويخشى أن يكون هـذا العمل موجباً للقضاء على تولية أي شخص من عائلة محمد علي على عرش مصر ، فسمع النصيحة ونفذ الامر من حيث تنازله عن العرش واستعد للسفر ولـكن بدلا عن اجابة امر السلطان بالتوجه الى استنبول قام مباشرة الى ايطاليا وسكن في مدينة نابلى — هذا ما كان من نتيجة هذه الحادثة

وكان سمو الخديوى اسماعيل عند رحيله من مصر أخذ معه اموالا طائلة وعقد النية أن يبذل المساعي الممكنة والغير ممكنة لدى فرنسا وانجلترا والدولة العلية حتى يعود الى عرشه بمصر ثانية ، فصرف في هـذا السبيل اموالا طائلة لاتحصى ، وكاد أن يصل الى غرضه ولـكن خانه الحظ في آخر وقت حيث وجدت عقبات اوقفت الوصـول الى الغاية المطلوبة ، ولما كان الباب العالي حانقاً عليه بسبب مخالفته اوامره وذهابه الى ايطاليا بدلا عن استامبول فقد بذل الخديوي اسماعيل مجهوده لاصـلاح ذات البين بينه وبين الباب العالى — وبعد مساعي كثيرة يتطلب بها السماح له بدخوله استانبول وعرض اخلاصه لجلالة السلطان فستعملت تركيا خداعها المعروف في اخلاق بعض رجالها ، وتظاهرت له بالرضاء التام وصرحت له بالدخول ، ففرح بذلك سمو الخديوى فرحاً شديداً واعتقد

ان أكبر العقد قد حلت وانه بمجرد دخوله استانبول سينال بغيته فذهب على الفور اليها وفعلاً سمح له بمقابلة جلالة السلطان ، فقابله أحسن مقابلة ، وكان فى وقت مقابلة جلالته موجوداً ايضاً البرنس حليم فى حضرته ، ومعلوم أن الكراهة المتبادلة بين البرنس حليم والخديوى اسماعيل كانت قد وصلت الى أقصاها ، فامرهما السلطان بمصالحة بعضهما بعضاً فزاد بذلك اطمئنان الخديوى اسماعيل ، وبعد انصرافهما من الحضرة السلطانية وتوجه كل منهما الى سرايه أعطيت اوامر من جانب الحكومة السلطانية بان سمو الخديوى اسماعيل ليس مصرحاً له بالخروج من سرايه فاصبح كسجين فيها لا يتمتع بحرية الحياة ، وعض اصابعه وندم لما فرط منه من الغلط لعودته الى استانبول بعد ان كان طليقاً يجول فى مدن اوروبا ، طولا وعرضاً فظل هناك زمناً طويلاً حتى مرض المرض الاخير ، فسعى بان يسمح له بالعودة الى مصر ليموت ويدفن فيها فقبلت السلطنة ذلك الالتماس حيث تحققت من نهاية حياته وسمح اللورد كرومر بذلك وسمح الخديوى عباس مبدئياً فى ذلك الوقت ، ولكن رجل من رجال السراى الخديوية بعد غرس نعمة الخديوي اسماعيل قام معارضاً لهذه الفكرة ، واظهر للخديوي عباس انه اذا عاد الخديوي اسماعيل وهو حي لمصر لسقط عن عرشه ، فدخل وسواس عظيم في نفس سمو الخديوى عباس من ذلك وتردد كثيراً فى الأمر وأخيراً رفض بتاتاً السماح له بالعودة الى مصر ، ذلك الموظف الذي اثار هذه الفتنة نظير النعم التي غمره بها اسماعيل هو محمود شكري باشا الذي كان رئيس ديوان السراي التركى ولم تمض على هذه الحادثة خمسة

ايام حتى قرىء فى الجرائد نعى الخديوي اسماعيل باشا باستانبول ، فأتى به الى مصر باحتفال لائق بقدره، يتفق مع مقامه ومشى فى جنازته الخديوي عباس وجميع افراد العائلة الخديوية وقناصل الدول وسائر الحكام واعيان واهالي البلاد الى ان واروه التراب فى جامع الرفاعي الذي كان انشأه لهذا الغرض رحمه الله رحمة واسعة

وكان من مطامع الخديوي اسماعيل ، ومن اميال الكبرى ان يصبح يوماً ما امبراطوراً على افريقيا ، وفعلا وصل بسعيه الى ان نال وعداً من نابليون بونابرت الثالث امبراطور فرنسا ، ومن جلالة السلطان عبدالعزيز تحت شرط ان يكون داخلا تحت دايرة نفوذه ، السودان بأكمله ومملكة الحبش ، فسعى وجد الى ان استحوذ على السودان وملحقاته مثل سنار وهرر وخلافهما ، وكان العضد الاول للحكومة المصرية في استيلائها على السودان هو الزبير وحاكم السودان العام عبد القادر باشا حامي وكان الزبير رجلا هماماً شجاعاً مقداماً ذا نفوذ كبير جداً فى بحر الغزال ، وبعد ان اتم جهاده فى الاستيلاء على كل ما طلب منه من ضم اراضى السودان واخضاعها الى الحكومة المصرية ، وشا فى حقه الوشاة من حكام مصر للجناب الخديوي حسداً منهم له فوصلت بهم النميمة الى ان ادخلوا فى ذهن الخديوي ان هذا الرجل يخشى منه ان ينادى باسمه خديوياً على السودان والخلاص منه واجب وضروري لمصر فدبر الخديوي حيلة لنفاذ هذا الغرض — وتلك الحيلة هي انه انعم عليه برتبة باشا واوعز الى بعض حكام السودان المصريين ان يقولوا له انه من التقاليد المرعية انه عند ما ينعم

على عظيم من العظماء بمثل هذه الرتبة الرفيعة ، يجب عليه ان يلتمس مقابلة سمو الخديوي لتقديم التشكرات لذاته الفخيمة ، ولما كان الزبير حسن النيه وعاملا مخلصاً لخدمة مصر ولا يداخله ادنى شك في حسن نيتها امام ما قام به من الخدمات -- دخلت عليه الحيلة ، وطلب الاذن من الخديوى بحضوره لمصر فاذن له فى الحال بالقيام فحضر فوراً واستحضر معه هدايا عديدة من جوار واغوات وريش نعام وسن فيل -- واحضر كميات كبيرة منها لتقديمها للجناب الخديوي ووزراء مصر -- وتصادف حال مروره بالسكة الحديدية لمصر ان كنت انا برفقة المرحوم سلطان باشا بمحطة مغاغه .ولما كان اسم الزبير واعماله معلومة لسلطان باشا واسم المرحوم سلطان باشا معروف بشهرته لدى الزبير باشا تقابلا وتعانقا واظهر كل منهما للآخر محبة واخلاصاً ، فعز على سلطان باشا ان يكتم عن الزبير ما ينويه له الخديوي فقال له كيف دخلت عليك الحيلة وانت رجل ذكى كثير التجارب وتركت بلادك واتيت لمصر ؟ -- فقال الزبير ما اتيت لمصر للاقامة فيها ولكنى اتيت لتأدية واجب للخديوى واعود فى الحال فقال له المرحوم سلطان باشا ارجو الله ان يحقق لك ظنك ولكني اخشى أن تطول اقامتك فى مصر ، وحينذاك آن موعد قيام القطار ، فقام بعد ان تصافحا طويلا

دخلت على افكار الزبير هواجس ووساوس من عبارة المرحوم سلطان باشا ولكنه كان يرجح دواماً انه يتغلب عليها معتمداً على ما قام به من الخدمات ، ولكنه بمجرد وصوله الى مصر ، وان كان قوبل بمقابلة فائح عظم وقبلت منه الهدايا التى قدمها للسراي وللوزراء ، الا انه صدرت اوامر

بيقائه بمصر وعدم عودته للسودان ، وظل محجوزاً بمصر في مدة اسماعيل وفي مدة توفيق وما عاد الى السودان الا عند قيام اللورد كتشنر بالحملة التي قادها لاسترجاع السودان اثناء فتنة المهدى وكان من رجاله العاملين العظام ، وكان ذلك في عهد سمو الخديوي عباس

وفي ذات الوقت الذي كان الخديوى اسماعيل مشغولا فيه بالاستيلاء على السودان بواسطة حملة مصرية عسكرية والزبير تحت اشراف عبد القادر حامي باشا حاكم السودان العام وقتها ، كان ايضاً مهتما بمحاربة الحبشة بواسطة حملة عسكرية كبرى يرأسها البرنس حسن الذى كان اذ ذاك وزيراً للحربيه ، ولكن خانه الحظ حيث كسرت الحبشة الجيش المصرى واسرته وعملت مساع عظمى لنجاة البرنس حسن وعودته بالسلام لمصر

ومن بعد هذه الحادثة اخذ نجم الخديوى اسماعيل في الافول حيث مات السلطان عبد العزيز الذى كان اكبر عضد له كما انه اسر الامبراطور نابليون في الحرب التي قامت بين فرنسا والمانيا في ذلك العهد المعروفة بالحرب السبعينية ، وكانا الركن الاعظم لتعضيد اسماعيل ، فضاعت جميع آماله من تلك الوجهة

وكانت لاسماعيل نوادر كثيرة حلية — اعرف انه يوماً من الايام دخل عليه مفتش من مفتشي مزارعه وكان اسمه عكوش باشا وقال له يا افندينا انى وجدت كنزاً ثميناً لا يفنى للبلاد ، اعرض تفصيلاته على مسامعكم الشريفة — ذلك الكنز هو ان ازرع ستين الف فدان ملك الدايرة السنية

بالفيوم اشجار زيتون ممكن ان يستخرج منها مقادير لا تحصى من الزيت ليس فقط اموّن منها جميع الآلات والماكينات الداخلة فى دايرة القطر المصرى، وكذلك السكك الحديدية المصرية باجمعها ، بل يمكن اصدر منها مقادير عظمى لاوروبا فتأتينا بربح طائل . ولما كانت الفابريقات التى تلزم لعصيره يستغرق استحضارها وتركيبها واعدادها للادارة زمناً طويلاً فارجو من سموكم صدور الامر من الآن باستحضارها حتى فى هذه الفترة يكون قد بلغ الزيتون رشده واخذنا ثماره والا نتأخر فى عصيره

فسر بهذا الخبر سمو الخديوى سروراً عظيماً واستدعى فى الحال المرحوم سلطان باشا الذى كان اذذاك حاكماً عاماً للصعيد، وأمره بعد ان قص عليه الرواية ان يعمل ما يلزم لاستحضار آلات هذه الفابريقات حالا من أوروبا ، فضحك المرحوم سلطان باشا وقال : يامولاي لم يغرب على شريف علمكم ان عكوش باشا رجل مشهور بالكذب ، فاذا اعتمدنا على مثل هذه الاقاويل الكاذبة وهي محققة من الآن ، وبرهاناً على ذلك طلبه استحضار الآلات قبل زراعة الزيتون الذي لا نعرف اذا كان ينجح ام لا ينجح ،فنكون تحملنا مصاريف جسيمة جداً باستحضار تلك الآلات الغير مضمونه فائدتها فلننتظر حتى نزرع الزيتون وينمو ونرى ثمره وحينئذاك نحكم اذا كانت الحالة تستدعي احضار تلك الآلات من عدمه ، فأجابه الخديوى بما يأتى : —

اسمع ياسلطان باشا انا أعرف ان عكوش باشا كذاب ، ولكن كذبه يبسطني وأعرف انك انت صادق ولكن صدقك يضايقني ،فأذهب واطلب الآلات واتته ، فذهب سلطان باشا وهو ممتلىء استغراباً وفعلا طلب

فابريقتين لعصير الزيت وتم تركيبهما بالفيوم ولم تستخدما فى استخراج الزيت لغاية الآن

ومن نوادر الخديوى اسماعيل ايضاً انه كان حريصاً جداً على عرشه فعلم يوماً من الايام ان رجلا باحدى بلاد مديرية جرجا يدعى «جعلص» ادعى الولاية ، واخذ ينادى بانه سيكون خديوياً لمصر فالتفت حوله بعض من الرعاع ، فما بلغ خبره لمسامع الخديوي حتى امر بشنقه فى وسط البلد حالا ، وتوزيع اهالي البلد التى ظهر منها هذا الشرير على البلاد المجاورة وهدم البلد وحرثها لتكون اراضى زراعية حتى لا يكون لها أثر فى الوجود بعد أن ظهر منها هذا الشرير

وكان له تطورات غريبة ، فكان مثلا يرفع رجلا من الزبالة الى أعلى الدرجات ويوليه أكبر المناصب بينما كان يسقط أعظم رأس فى البلد من أعلى الدرجات الى اسفل السافلين ، مثال ذلك انه امر بتعيين شاهين باشا الذي كان وزيراً للحربية والبحرية مأموراً لتشهيل سكة حديد السودان ، وسلطان باشا مفتشا للفيوم بعد أن كان حاكم الصعيد العام، ورؤوف باشا بعد ان كان حاكم السودان العام اصبح مديراً لجرجا ، وأعرف مرة انه عين المرحوم على باشا مبارك ناظراً للاشغال واسند اليه نظارة المعارف العمومية ومحافظة مصر وادارة السكة الحديدية وبعد ذلك بأشهر قليلة سلب منه كل هذه المصالح وجعله باشمهندساً للركاب العالى فقط

وكان لسمو الخديوي اسماعيل حركة لا تهمد على الدوام مشغولا بتصريف امور الحكومة تحت نظره الخاص كثير النشاط ، محبا للتفريح حلو الحديث

يحب العلماء النيرين ، وكان متخذاً منهم عالمين فاضلين وهما المرحومان الشيخ على الليثي والسيد على ابو النصر ، كانا بصفة نديمين يلتذ لسماع حديثهما ويسر لنكاتهما كما كان يجمع بين الصفات الباريسية وجميل الشمائل العربية ، محبوباً من جميع الامة المصرية مع انها كانت تخشاه وتهابه وتخاف سلطته ، وكانت الامة فى عهده فى هناء وسرور

***

وكان يوجد فى عهده كثير من الانظمة القديمة التي تركها له الولاة السابقون منها انه كان يوجد فى كل مديرية سنجق ، على رأس ستمائة عسكري باشبوزك ، خليط من جميع الاجناس والاصناف ، وكانوا يعيثون فى الارض فساداً ، وربما كان وجودهم اكبر العلل لخلل الامن العام كما انه كان يوجد عدد كبير جداً من العربان المنتشرين بالجبال والسواحل يسكنون الخيش والنجوع وكان اكثرهم يعيش من اللصوصية ، فأراد الخديوى اسماعيل ان يتخلص من كل هؤلاء فأمر حكام الجهات ان يوعزوا الى الفريقين بان الحكومة ستغزو السودان وانه سيوكل اليهم هذا الامر — أى للسناجق وعسكرهم والعربان ، وكان ذلك فى الوقت الذى وجه فيه الخديوى حملة للاستيلاء على السودان ، وضمه الى مصر ، ففرحوا بذلك كثيراً ، وسرعان ما تهيأوا للسفر ، وصرفت لهم خزينة الحكومة ما لزم لتسفيرهم ولقضاء مصالحهم الوقتية فسافروا جميعاً للسودان ، الا ان العرب احتاطوا للامر بأن ابقوا منهم جانباً كبيراً هنا ليكون تحت الامداد لمن دخل الحرب ، وحال وصولهم للسودان واندماجهم فى المحاربة ، صدرت اوامر من هنا لحاكم السودان العام وكان اذ ذاك

عبد القادر باشا حلمي ، بعدم السماح لاى منهم بالعودة الى مصر ، اذا سلم من الحرب . وبهذه الوسيلة قد تطهرت البلاد من وجودهم واستراحت العباد من شرورهم

اقباط المنيا والمبشرون الامريكان

ومن المسائل ذات الاهمية الكبرى التي حدثت مدة الخديوى اسماعيل . انه ظهر مبشرون من الامريكان ، كانوا يطوفون بالبلاد لتبشير الاقباط بالمذهب البروتستانتي ، فأمكنهم ان يستميلوا اليهم في مدينة اسيوط عائلتين هما عائلة ويصا وعائلة خياط ، وهاتان العائلتان أول من خرج من المذهب القبطي الارثوذكسي الى المذهب البروتستانتي

وبعد ذلك حضر المبشرون الامريكان الى بندر المنيا ، وكان اقباط المنيا وقتها يتبعون نصيحة جدي المرحوم يوسف بك عبد الشهيد في كل امر ، فنصحهم بأن لا يتواجدوا في اى اجتماع يدعون اليه هؤلاء المبشرين ، فقبل أقباط المنيا نصيحته ، ولذلك غضب المبشرون وعلى رأسهم الدكتور هوج ، ورفعوا شكوى لقنصل عام امريكا بمصر ضد المرحوم جدي ، وقد بلغها هذا القنصل لنظارة الخارجية التي بلغتها لنظارة الداخلية ، وهذه شرحت عليها وحولتها لمديرية المنيا لعمل تحقيق عن ذلك ، فاطلع المدير وقتها المرحوم جدي على هذه الشكوى ، فطلب بنفسه من سعادة المدير ان يستجوبه كتابة ، فاجابه الى طلبه ، فوجه اليه سؤالا يطلب منه فيه تصريحاً عما حصل في هذا الامر الذي يشكو منه المبشرون الامريكان فاجابه قائلا — الامر بسيط جداً ،

هؤلاء المبشرون حضروا لبلدنا يطلبون منا ان نخرج من ديننا فرفضنا ذلك، فهم يشكون من بقانا على مذهبنا ، فاذا كانت الحكومة تود ان تساعد هؤلاء الاجانب على خروجنا من مذهبنا واتباع مذهبهم فلتقل لنا ذلك بصراحة ونحن نفكر في الامر

فاما بلغ الجنات الخديوي أجابة المرحوم جدي بهذا الشكل ، سر سروراً عظيما منه ،واستدعاه وشكره .وأنعم عليه بنيشان رفيع في وقتها، لان الخديوي كان في حالة غضب شديد من تصرفات المبشرين بالبلاد المصرية، وكان يزداد كدراً عندما يسمع بأي قبطي خرج من مذهبه وتمذهب بمذهب الاجانب، ولذلك ، ولكي يقضي على هذه الحركة، استحسن ان يقوم غبطة البطريرك وقتها المدعو الانبا ديمتريوس بسياحة ، وان يكون تحت أمره وابور من الركايب الخديوية ، وخدم من المسافرخانة الخديوية، ويطوف ببلاد الصعيد، ويكون المديرون وحكام الصعيد في خدمته، وتحت أوامره، فطاف البطريرك بهذه العظمة والفخفخة التي كان لا نظير لها بعموم بلاد الصعيد، فكان في طوافه هذا بهذا المظهر، وما قدم له من التبجيل والتكريم، القضاء المبرم على تلك الحركة التي كان يراد منها تتبع الاقباط لكنيسة أجنبية — وتعني أوضح خروجهم من الرعوية المصرية الى الرعوية الامريكانية — والفضل كل الفضل في ذلك يعود للخديوي اسماعيل، وبعد نظره مما يحفظ له الذكر الذي لا يمحى بالحمد والثناء

الجمعية الخيرية القبطية

ومن المسائل الهامة التى حصلت في عهده ، هو ان قام فريق من الاقباط الذين اتصفت أخلاقهم بالميل الى خدمة الانسانية ، وفكروا في تأسيس جمعية خيرية قبطية، لتخفيف ويلات الفقير ، واعانة المسكين، وتربية اليتيم . وذلك الفريق هو حضرات

١	مرقس بك مفتاح	رئيس	٢	برسوم افندي حنين	عضو
٣	غطاس افندى حنا	عضو	٤	جرجس افندي بقطر	«
٥	جرجس افندى عصفور	«	٦	يعقوب بك نخله	«
٧	تادرس افندي حنا الجيزاوى	«	٨	يسى افندى عبد الشهيد	«
٩	بطرس افندى ابادير	«	١٠	الخواجا رزق لوريا	«
١١	حبشي بك مفتاح	«			

وجميعهم توفوا ولم يكن باقياً منهم على قيد الحياة إلا حضرة حبشي بك مفتاح، وكان هذا الفريق برئاسة المرحوم مرقس بك مفتاح ، الذى كان بحق رجل الاصلاح وخادم الانسانية ، فقام بتأسيس الجمعية المذكورة بمقتضى محضر في سنه ١٧١٨ وهذا المحضر محفوظ تحت يد حضرة حبشي بك مفتاح شقيق المرحوم مرقص بك مفتاح رئيس مؤسسي الجمعية

وهذه الجمعية هي القائمة الآن برئاسة صاحب العزة جرجس بك انطون ، وقد أدت كثيراً من الاعمال في تخفيف ويلات الانسانية ، ونشر التعليم ، ومن أعمالها الباهرة انها أسست المستشفى القبطي والمشغل البطرسي ،

وهي التي تصرف عليهما من ايراداتها الخاصة فندعو لها بالنجاح الدائم

وبهذه المناسبة نقول ان حضرة جرجس بك انطون رئيس هذه الجمعية الحالي، أدى مجهودات لا تنكر في تعزيز أركانها وخدم تقابل بالشكر والثناء مما يفرض علينا ان نعلنه على الجمهور

***

واتذكر انه في عهده كان يوجد مدير اسمه داود باشا، ظل مديراً في مديرية قنا زمنا طويلا، وكانت هذه المديرية إذ ذاك ممتلئة بالاشرار وقطاع الطرق وسافكي الدماء، بحيث كان لا يمكن لاي انسان أن يسير في طريق ما سواء أكان ليلا أم نهارا، ويكون آمناً على حياته. وكان اهتمام ذلك المدير منصرفا في تطهير المديرية من هذه الاحوال المشينه، وكان يعتقد أيضا، انه اذا اعتمد على أحكام المحاكم وتحقيق النيابات، لا يصل الى نتيجة فعاله، لانه كان يقول انه مهما قيل في حق جان من الجناة، للنيابة او للمحكمة، فما اسهل على النيابة او المحكمة من ان تقول ـ الادلة غير متوفرة ـ وتحكم بالبراءة

ثبت في ذهنه هذا — ورغب رغبة أكيدة في تطهير المديرية فسن طريقا مخصوصا اتبعه، وذلك الطريق، أن القاتل اذا ثبت لديه أنه قاتل فعلا. ووجد من الادلة مايقنعه بذلك أمر بقتله في السجن خنقاً، وبعد الوفاة يأمر حكيمباشي المديرية بان يصدر شهادة بانه مات بالحمى التيفودية، وافتكر ان أحد الاطباء توقف مرة في ذلك فضربه وارغمه على توقيع الشهادة فوقعها.

وكان ايضا اذا ثبت لديه أن رجلا فضح عرضا أو نهب بيتا ، ولم يقض على حياة انسان في أثناء ارتكاب جريمته هذه ، فيكتفي بان يفقده بصره كحل عمله خصيصا لذلك .

ترتب على هذا انه لم تمض مده طويلة من الزمان حتى تطهرت المديرية تطهيرا تاما ، واصبحت المرأة وهى متحليه بجميع حلاها ، تسير فى جميع طرق المديرية سواء اكان ليلا أم نهارا بدون ان يتعترض لها انسان ، حتى ضرب المثل الاعلى بانتشار الامن فى جميع ربوع المديرية .

وكان يميل الى العدل كثيرا مهما كلفه ، واذكر ان إمرأة حضرت اليه يوما بالمديرية وقالت له بنص اللفظ — العمدة نهب جاموستي ياداود وانت فى المديرية فهل يرضيك ذلك؟ فقال لها لاستأخذين جاموستك اذا كان كلامك صحيحاً ، وقد كانت عملت له عملية بواسير في ذلك اليوم وكان لا يصح ان يركب أي ركوبة لهذا السبب ، ورغم تنبيه الحكماء بما يعود عليه من الضرر اذا ركب . قال : أنه لايهدأ له بال ، ولا يستريح له سر ، الا اذا ردت الجاموسة لصاحبتها . داود موجود وتسرق جاموسة امرأة بواسطه عمدة بلد ؟ هذا كثير — !

وطلب فى الحال بغلة كان قد اعتاد أن يركبها وامر المرأة ان تركب دابتها وتذهب بمعيته ، وقام ركبه قاصداً الناحية التى تقطنها تلك المرأة . واستحضر العمدة ، وثبت له من سؤاله اياه ، أنه نهب الجاموسة حقيقة ، فستردها منه وسلمها لصاحبتها ، وازغمه على دفع خمسة جنيهات تعويضا المرأة ، وبعد ذلك جلده تأديباً لما اقترفه ، ورجع فخوراً مسروراً بعمله ،

وكان له قصص كثيرة من هذا القبيل ، ذكرنا منها هذه القصة على سبيل التمثيل .

وبعد أن تطهرت المديرية نقل الى مديرية جرجا ، فطهرها أيضا ثم نقل الى مديرية الجيزة . وكان في ذلك الوقت، أكبر اهتمام الحكام بالاقاليم في تحصيل الاموال الاميريه وسائر الضرائب ، ومابقى بعد ذلك من أعمال المديريات ، كان ثانويا في نظر الحكام ، فعندما نقل لمديرية الجيزه، اهتم كثيرا بتحصيل الاموال ، واتصل به ان جميع أهالي المديرية يدفعون عن طيب خاطر كل الضرائب المطلوبة منهم ماعدا أحد كبار علماء الازهر الذي كان يملك أرضا بتلك المديرية ويسكن بالجيزة ، فهو الوحيد الذي كان لايدفع الاموال ، فتراكمت عليه المتأخرات كثيراً من هذا القبيل ، فطلب المدير كشفا بجميع المتأخر عليه لغاية ذاك التاريخ ، وأرسل رسولا يستدعيه ، فرفض العالم التوجه للمدير وقال لاشغل لي عنده، فعندماحضر الرسول وابلغ المدير ذلك فقال، وهل رسول داوديصح أن يكلف بمأمورية ويرجع بدون قضائها ؟ نومه ياولد، وجلده جلداً مؤلما وقال له اذهب واستحضره حالا باى كيفية ، فذهب الرسول الى العالم وفي يده كرباج عظيم وقال للعالم تفضل كلم المدير . فابتدأ العالم يعتذر ، فضربه الرسول ضربا فما كان من العالم سوى ان خضع وامتثل وذهب صحبته للمدير وكان ذلك العالم لابسا ملابس فاخرة من الجوخ والشاهي، فدخل على المدير وقال، السلام عليكم ورحمة الله ياسعادة المدير، وهم ان يجلس بجانبه، ففي الحال صرخ المدير صرخة عالية وقال، ياولد فدخل عليه اثنان من القواصين ، وقال لهما

خذا هذا الكلب (مشيرا الى العالم) واطرحوه أرضا، فطرحوه أرضا ووضعوا رجليه فى فلقة سلسلتها حديد، وامر بجلده بالكرابيج . فاشتغلت الكرابيج على اقدامه وهو يصرخ ويستغيث، فقال له المدير، لا يكف عنك الضرب الا اذا دفعت كل مطلوب الحكومة على آخر قرش ، وفى الحال اسرع واستحضر من بيته كل مطلوب الحكومة، وحينئذاك كف عنه الضرب، وما استطاع العالم بعد ذلك ان ينهض على رجليه لما حل به من الالم، فحملوه على الايدي واوصلوه لفراشه فى بيته

ذاع هذا الخبر حتى وصل لمسامع علماء الازهر . فقاموا وقعدوا له ، وتشكل منهم وفد برئاسة شيخ الجامع الازهر ، وقصدوا سراي عابدين وتشرفوا بمقابلة سمو الخديوي اسماعيل وقالوا له ، يا افندينا فى عصرك ، عصر النور والعلم ، الذى رفعت فيه راية العلم ، وعظمت قدر القائمين به ورفعت شأن الأزهر الى عنان السماء، يضربون فيه العلماء بالعدة والكرباج كسائر الفلاحين؟ فقال لهم من فعل ذلك؟ قالوا داود مدير الجيزة يا افندينا فأمر فى الحال باستحضاره، فذهب خيال عقب خيال لاستحضاره . والعلماء فى انتظار قدومه عند الحضرة الخديوية ، واذا بداود باشا قد حضر ، وهو ثابت الجنان . ولم يكن عنده ادنى اضطراب بخلاف ما كان ينتظر، وسأله افندينا، هل انت ضربت العالم فلان؟ قال نعم ، قال وكيف تضرب عالماً؟ فقال ، افندينا نائب الخليفة فى الحكومة المصرية ، وانا نائب الخليفة فى مديريتى ، وهذا العالم ثبت لي انه شتم النبي ، فلم يسعني وانا خليفة الخليفة الا تأديبه ، فأمرت بجلده جلداً عظيما — فما كان من العلماء الا ان قالوا

من شتم النبي لا يكتفى تأديبه بالجلد ، بل لا بد من رجمه ، فقال داود باشا ولكني جلدته جلداً مؤلماً ، واظن بعد العذاب الذي ذاقه من يدي لا يصح رجمه ، حينئذ قال افندينا مادام ضربه ضرباً مبرحاً فليكتفى بذلك

ثم انصرفوا معلنين شكرهم وارتياحهم لما فعله سعادة المدير كما اعلنوا امتنانهم وسرورهم من اهتمام ولي الامر بمطلبهم

ولكن افندينا وان كان ارتاح للخلاص من هذه الورطة، الا انها لم تخل عليه ، ولذلك بعد ان انصرف وفد العلماء ، سأل افندينا داود باشا ما هي الحقيقة ؟ فقال داود باشا يا افندينا، هذا الرجل بتوقفه في دفع مال الحكومة يعطل على تحصيل اموال المديرية، فبجلده حصلت جميع المطلوب منه ومن اهالي المديرية ، فقال افندينا ، عظيم وخليك هكذا وكل مرة وقع فيها مثل هذا الحادث «شتم النبي» وانتهت الرواية على ذلك

لطائف لبعض المديرين

اتذكر انه عين مدير لبني سويف احد عمد البلاد ، وكان اسمه جابر بك، وكان المعتاد وقتها ان يفرض على البلاد تقديم جمال لشال قصب الدائرة السنية (اعني دائرة سمو الخديوى اسماعيل) لتوريده للفابريقات فطلب من كل بلد عدداً معيناً من الجمال — فقال احد عمد البلاد للمدير — لقد طلبت مني مائة جمل ولم يكن ببلدى ديل واحد من جمل منها، فقال المدير ، وانا مالي هات من تحت الارض ، فقال العمدة هو تحت الارض فيه جمال من عملك مدير ؟ فاغتاظ المدير واستدعى قواصه التركى وقال

له ارطن على هـذا الرجل فقال له « سكتر كرته بزافن » فهرب الرجل وهرب المدير معه ـ لانه ظن انه لم يزل شيخ بلد كما كان فحصلت له رجة الى ان وعي لنفسه

ومن ضمن نوادر هؤلاء القوم ان احدهم عند ما كانت ترد البوسته وتقدم اليه حسب العادة يفتحها وكان كلما رأى ملفاً تابعاً لخطاب فى مسألة يمسك الملف ويمزقه اربا اربا ويحتفظ بالخطاب فكان عند ما يرى ذلك الباشكاتب يندب سوء حظه فيقول المدير له ، هـذا عفش نفش مالوش لزوم ، ومن غير فائدة فكان يضطر الباشكاتب لان يأخذ سبت الاوراق المهملة ويصرف وقته فى البحث عن قطع اوراق الملفات

ويوجد نوادر كثيرة من هذا القبيل ولكن عهد هؤلاء لم يدم كثيراً

أما ما كان يوجد من الحكام الجهلاء الاتراك فكانوا يعتمدون فى كل اعمالهم على الباشكتاب ولو انه كان يقع منهم مثل هذه الغلطات ايضا حيث عند فتح البوسته والنظر فى أى امر يقول للباشكاتب ـ خدهذا الورق ـ هات كلام من عندك ـ اعمل اللازم ـ ومن ضمن نوادر احدهم الذى كان مديراً بالمنيا ـ والعادة القديمـة في عنوان مديرية المنيا هو ـ مديرية المنيا وبني مزار ـ فعند ما اراد الباشكاتب ان يمضي منه اول خطاب لنظارة المالية قال له ـ يا باشكاتب ايه مكتوب فى الامضاء ـ قال الباشكاتب مدير المنيا وبني مزار ـ فقال المدير وفين الفشن؟ فقال الباشكاتب هناك فى محلها فقال المدير انا عارف شغلك ياباشكاتب انت مسكت الفشن اعطيته لمدير بني سويف انا عارف شغلك ـ انا لا اختم جواب ما دام مفيش الفشن ـ

فالباشكاتب لاجل انجاز العمل وعدم التعطيل اضطر لان يضيف في الامضاء « والفشن ايضا حسب امره » . فعند ما وصل هذا الخطاب بهذه الكيفية لنظارة المالية ، اندهش ناظرها وكان وقتها المرحوم اسماعيل صديق باشا ، واندهش اكثر منه المرحوم وهبه بك الجيزاوي المحاسبجي (باشكاتب المالية) وكان صاحب الكلمة العليا وقتها — فصدر أمر نظارة المالية تلغرافياً للباشكاتب بالحضور ولما حضر وسألوه ماهذا الخلط ياباشكاتب وانت من أعظم الباشكتاب فقال، وما ذنبي وقص عليهم الواقعة فضحك ناظر المالية ووهبه بك كثيراً ، عند ما سمعا هذه الرواية وأخيراً استدعيا المدير وفهماه خطأه ونصحاه بأنه يتبع نصائح الباشكاتب لأنه عارف الاصول وأدرى بها فقال بك افندم

وبعد ان خرج من النظارة تقابل المدير مع الباشكاتب وقال له باشكاتب افندم ، انت زعلان فقال أبداً ياسعادة المدير ، انما الامضاء هي التي عملت كده

التنازل عن اطيان الدائرة السنية

ومن الحوادث التي جرت في عهده أيضا ، ان عملت مساع بمعرفة المرحوم نوبار باشا رئيس الوزارة وقتها ، باقناع سموه ان يتنازل عن املاك الدائرة السنية للحكومة ، والدائرة السنية هي عبارة عن وزارة زراعية كانت قائمة بادارة شؤون أراضي الجناب الخديوي ، وكانت تنقسم الى تفاتيش

وكل تفتيش منها لا يقل زمامه عن ستين ألف فدان ان لم يكن أكثر ، وتلك التفاتيش هي : —

أرمنت ، الضبعية ، المطاعنة ، الروضة ، ابو قرقاص ، المنيا ، معصرة سمالوط ، مطاي ، بني مرار ، آبا ، الشيخ فضل ، مغاغه ، سلاقوس ، الفشن ، بيا ، الفيوم ، اورمان ابو بلح ، بسنديله ، طناح

وكل تفتيش من هذه التفاتيش عبارة عن مديرية ، وكان المفتشون القائمون بهذه الاعمال لهم السيطرة العليا على موظفي الحكومة ، ولهم النفوذ اللاحد له ، وكان يتبع كل تفتيش من هذه التفاتيش فابريقه لعصير القصب وعمل السكر ، ربما كان يقرب ثمنها ومصاريفها لغاية ادارتها من المليون جنيه ، ماعدا تفاتيش اورمان ابو بلح ، وبسنديله ، وطناح حيث كان لا نزرع فيها قصب

فنجح نوبار باشا باقناع الخديوى ، فى ظروف اشتدت فيها الضائقة المالية ، وتعذر سداد الكوبون الخاص بديون الدائرة ، بأن تنازل الخديوى عن هذه الاملاك جميعها للحكومة ، التى أخذت على عاتقها ان تديرها بمعرفتها ، واذا عجزت ايراداتها عن سداد ما هو مطلوب عليها ، تقوم الحكومة بسداد العجز ، فى نظير ما تؤول ملكية هذه الاطيان وما يتبعها للحكومة وتتصرف فيها كيف تشاء كانه (أي نوبار باشا) نجح أيضا فى الحصول على تنازل أعضاء العائلة الخديوية عن أملاكهم ، المعروفة الآن بالدومين ، للحكومة بذات شروط تنازل الدائرة السنية ، وفى نظير ذلك خصصت لهم مرتبات يتقاضونها من الحكومة شهرياً

وقد انتهت مدة الدين الآن الخاص بهذه الاملاك وباعت الحكومة جميع أملاك الدائرة السنية للأهالي، كما انها باعت جانباً عظيماً من أملاك الدومين أيضاً، بما زاد في ثروة الأهالي ورفاهيتهم وتحسين حالتهم المعيشية

أما الفابريقات، فقد بيعت بيع التراب، حيث ان الفابريقة التي تكلفت ماينوف عن المليون جنيه، بيعت حديد خرده بما لا تزيد عن عشرة آلاف جنيها، ولم تبق من هذه الفابريقات سوى ثلاث، هي ابو قرقاص والشيخ فضل وأرمنت وهي باقية لغاية الآن وتابعة لشركة السكر

السرايات

وقد بنى اسماعيل في عهده جملة سرايات منها، سراي القبة — سراي عابدين — سراي الاسماعيلية — وثلاث سرايات بالجيزة — وسراي الجزيرة — وقصر النزهة بشبرا — وسراي المنيرة — وسراي المنيا — وسراي الروضة

واسماعيل باشا بالاجمال، عاش عيشة ترف لم يتيسر لأي ملك ان عاش عيشة نظيرها، إلا سلاطين تركيا، وقد اغدق حسنات كثيرة على الفقراء والمساكين، وأقام منار العلم في مصر، وخدم مصلحة الزراعة أعظم خدمة، ونظم طرق الري بأحسن الوسائل، وبالاجمال فكما كان محمد على باشا هو منشيء مصر الحديثة العظيم، كذلك اسماعيل كان مصلحها العظيم، ومبعث الخير، لها رحمه الله رحمة واسعة وجعل الجنة مثواه .

وقد انتهت مدة الدين الآن الخاص بهذه الاملاك وباعت الحكومة جميع أملاك الدائرة السنية للأهالي، كما انها باعت جانباً عظيماً من أملاك الدومين أيضاً، بما زاد في ثروة الأهالي ورفاهيتهم وتحسين حالتهم المعيشية

أما الفابريقات، فقد بيعت بيع التراب، حيث ان الفابريقة التى تكلفت ماينوف عن المليون جنيه، بيعت حديد خرده بما لا يزيد عن عشرة آلاف جنيها، ولم تبق من هذه الفابريقات سوى ثلاث، هي ابو قرقاص والشيخ فضل وأرمنت وهي باقية لغاية الآن وتابعة لشركة السكر

السرايات

وقد بنى اسماعيل فى عهده جملة سرايات منها، سراى القبة — سراى عابدين — سراى الاسماعيلية — وثلاث سرايات بالجيزة — وسراى الجزيرة — وقصر النزهة بشبرا — وسراى المنيرة — وسراى المنيا — وسراى الروضة

واسماعيل باشا بالاجمال، عاش عيشة ترف لم يتيسر لأى ملك ان عاش عيشة نظيرها، إلا سلاطين تركيا، وقد اغدق حسنات كثيرة على الفقراء والمساكين، وأقام منار العلم فى مصر، وخدم مصلحة الزراعة أعظم خدمة، ونظم طرق الرى بأحسن الوسائل، وبالاجمال فكما كان محمد على باشا هو منشيء مصر الحديثة العظيم، كذلك اسماعيل كان مصلحها العظيم، ومبعث الخير، لها رحمه الله رحمة واسعة وجعل الجنة مثواه .



سمو الخديوي توفيق باشا



فى عهد
المغفور له الخديوى توفيق

جلس الخديوى توفيق على كرسي الخديوية المصرية، بعد عزل ابيه وكان متحلياً بأخلاق التواضع والبساطة . بعيداً عن جميع عظمة التظاهر ، يميل بطبيعته للجراكسة والاتراك، وكان محبوباً عند الامة المصرية لشمائله الرقيقة

وكان فى عصره كما كان فى عصر أبيه ، تلقى مقادير الحكم على واحد من ثلاثة وزراء وهم رياض باشا وشريف باشا ونوبار باشا ، ولكل منهم مزايا عظيمة لا يجب بخسها . وخدم جليلة قام بها للبلاد يجب الترنم بذكرها : وفى اعتقادي ان مصر لم توهب رجلا من عهد الخديوي اسماعيل لغاية الآن أقدر وأعظم من هؤلاء الثلاثة ، فرياض باشا كان شغوفاً بحب الوطن لا يعرف المال، حاكما شريفاً مهاباً ، تخشاه الامة عن بكرة ابيها وجميع الوزراء والحكام والاوروبيين كبيراً وصغيراً يعملون له حساباً حتى كرومر مع عظمته وكبر نفوذه المعروف ، كان يهابه جداً ويتحين الفرص التى يكون رياض فيها منشرح الصدر والخاطر فيطلب ما كان يود طلبه منه . وما نقوله هنا عن رياض باشا، نقوله بالذات عن شريف باشا ونوبار باشا : ورياض باشا معروف فى جملة مواقف، فانه فى عهد الخديوى اسماعيل حينما كانت تطاطيء رؤوس الامراء والنظار أمامه، وقف فى وجهه وحده بخصوص جملة اعمال كان يعتقد أنها فى غير مصلحة الوطن، وما فعله مع اسماعيل فعل اضعافه مع توفيق ، ومنعه من التداخل فى ترشيح المستخدمين . ومن اعطاء الرتب

والنياشين ، ومن أمور كثيرة كان يعتقد أنها ليست فى مصلحة الوطن ـ وقرر أن يكون ذلك بناء على طلب مجلس النظار . ورياض باشا ما رفت ولا عزل من منصبه بأمر الحاكم مطلقاً ، بل هو الذي كان يستقيل من منصبه مراراً عند ما كانت الاحوال تسير على غير مبدئه ، ماعدا ماحصل فى المسألة العرابية ، ومع ذلك كانت تضطر الحكومة لاستدعائه لاستلام زمامها المرة بعد المرة . وكان هو علاجها الوحيد لحل مشكلاتها ، واذا أردت أن أعدد الخدم التى قام بها رياض باشا للبلاد ، لاحتاج الحال لمجلد مخصوص ولذلك اكتفيت بالتنويه العام لذكر فضل هذا الرجل العظيم

ولنرجع الآن لحديثنا بذكر الخديوي فنقول ـ قد حصلت فى عهده المسألة العرابية والبعض يسميها « الفتنة العرابية » ولكني اسميها « بالحركة الوطنية » وأخالف كل الذين يسمونها « فتنة أو عصياناً » أو نحو ذلك وسأشرح مع الاختصار التام تلك الحركة

كان المبدأ المتبع فى مصر لغاية ذلك الوقت ، ان جميع الوظائف تقلد للاتراك والجراكسة . وكل من جاء من البلاد العثمانية سواء كان تركياً أو جركسياً أو أرنؤوطياً كيفما كان ، من كبيرها لصغيرها ، وكانت تقريباً فى مقام التحريم على أهالى البلاد قاطبة

ظلت هذه الحالة سائرة فى عهد جميع الخديويين ، ماعدا حالة واحدة ، لغرض خاص ، قضت رغبة الخديوي اسماعيل لربط ضريبة جديدة ، سميت ضريبة « المقابلة » فاستخدم لجبايتها بعض أهالي البلاد ، بوظائف حكام للاستعانة بهم على تحصيل تلك الضريبة بصفة وقتية ، وبعدها عزلوا كما

ذكرنا ذلك في الحوادث التي حصلت في عهد سمو الخديوي اسماعيل — ولكن العسكرية لما كانت من أهالي البلاد، قضت الضرورة اضطراراً أن تعطى بعض وظائف من الوظائف الثانوية لابنائها، وأما الرؤوس والقواد الكبار كلهم، فكانوا من الترك والجراكسة، وكان هؤلاء يعاملون معاملة استثنائية في كل شيء وكانوا يعاملون العساكر والضباط الوطنيين بجميع انواع القسوة والاستعباد والتحقير الذي ليس بعده تحقير — فنتج من ذلك انفجار عظيم، وتذمر شديد عند الضباط والعساكر الوطنيين، ترتب عليه جمع كلمتهم، والاتفاق فيما بينهم على أن يطالبوا الحكومة بدون تردد بمعاملتهم مثل معاملة الجراكسة والترك مهما تأتى لهم من ذلك، ولا يرجعون القهقرى حتى يتوصلوا لمطلبهم، وعهدوا برئاسة عملهم للاميرالاي عرابي بك، ولكن قبل الشروع في العمل أخبروا جميع أفراد الجيش بعزمهم، ما عدا القواد الجراكسة طبعاً وامثالهم، فحل هذا لدى الجميع محل القبول والاستحسان، مزوداً بالوعد ان يكون الجيش رهين اشارة القائمين بالحركة، فبعد أن نالوا ثقة الجميع، وتم الاتفاق منهم على ما يرضون شرعوا أولاً في تقديم عريضتين احداهما لسمو الخديوي توفيق والثانية لرياض باشا الذي كان وقتها رئيس مجلس النظار وناظر المالية والداخلية والمعارف العمومية — فرياض باشا مع ما هو معروف عنه من حدة الطبع والتأثر السريع من المسائل الشاذة، قابل هؤلاء بغاية الرقة، ولاطفهم كل الملاطفة، ووعدهم بالنظر فيما يطلبون فانصرفوا على وعد أن يعودوا بعد ثلاثة ايام، لاخذ جواب دولته وبعد انصرافهم أخذت الناس تتحدث، حتى هم أنفسهم

عن حلم رياض الكبير ، الذي أظهره خلافاً لعادته في كل المسائل ، ويفسرون ذلك جملة تفاسير ، ولكن كلهم ضلوا عن سواء السبيل ، وحقيقة الامر ان رياض باشا عند ما وقع نظره على العريضة وما فيها ، قال في نفسه لقد خرج الجيش من يد الحكومة ، وهذا سيكون سبباً لخراب البلاد ، فأراد ان يعالج المسالة بسياسة حكيمة مما يدل على بعد نظره ، بأمل اصلاح الحالة وكسب الجيش للحكومة وكان ذلك متيسراً لولا الدسائس التي طرأت ، كما سيأتي البيان

قلنا ان الوفد الذي رأسه عرابي في تقديم العرايض قدم عريضتين ، احداهما لرياض باشا ، والثانيه للخديوي ، فعريضة الخديوي لم يقف على أثرها أحد ، والاغلب انها مزقت ورميت في سبت الاوراق المهملة ، واما عريضة رياض باشا فقد حملها دولته وقدمها للخديوي ، وبعد ان تلاها الخديوي بأمعان ، وجه الكلام الآتي لرياض باشا فقال : — وهل رياض باشا بكل أبهته ونفوذه ، تأثر وا كترث باقوال هؤلاء ، حتى انه جعل للامر أهمية لدرجة انه هو بنفسه حمل العريضة واتى لي بها ، أنا رأيي يارياض باشا ، طرد هؤلاء وعدم الاهتمام بهم

فقال رياض باشا ، مولاي ، المسألة ليست مسألة فلاحين ولا ترك ، انما المسألة مسألة الجيش ، فاذا ضاع الجيش من يدك ضاعت البلاد منك فأرجو من افندينا ان يمعن النظر في الامر ويعطيه ما يستحقه من الاهمية ، المسألة كبيرة جداً ، واخشى بسببها ضياع البلاد وخرابها

فقال الخديوي — ما انت رياض باشا الذى أعرفه أنا وغيري ، جيش



عرابي باشا

عن المقتطف

ايه وبلاد ايه ، كل هذا يرد في فكرك يا رياض باشا من قبل جماعة مثل هؤلاء ؟ فقال رياض باشا — أني اترك افندينا يفكر في الامر يومين أو ثلاثة وسأعود للحديث معه جديداً وليعلم مولاي ان فكري هو هو لا يتغير

وترك رياض باشا الخديوي . وظل الخديوي مصراً على فكره. وفي اليوم الثالث حضر الوفد لمنزل رياض باشا وسأله عن الجواب ، فقال رياض باشا ، أنه عرض الأمر على الخديوي ، ووعد بالنظر في المسألة ، وسيعود لمقابلة الخديوي اليوم للبت في الأمر ، وبعد ذلك يفيدهم ، ويتفاهم معهم في المسألة حسب رغبتهم وأمالهم ، واستعمل معهم اللين والملاطفة اللذين استعملها معهم في المرة الاولى ، وفعلا بعد انصرافهم توجه لمقابلة الخديوي وحدثه في الأمر فكان جواب الخديوي هو ذات الجواب والكلام الذي قاله في أول الامر ، فقال رياض باشا : لا حل للمسألة يا أفندينا ألا في أحد أمرين ، أما أن أفندينا يجيب طلباتهم ويطيب خطرهم حتى تموت هذه الحركة . وأما أذا كان مصراً اصراراً على عدم اجابة مطلبهم فيأمر بإعدامهم ، وبدون اجابة احد هذين الطلبين فنحن امام تهديد كما قلت لأفندينا يقضي بخراب بل ضياع البلاد . فقال الخديوي : لا اجيب طلباتهم ولا آمر باعدامهم ، وهم في نظري لا شيء . ولا داعي للاهتمام بهم ، فتركه رياض باشا وبمجرد ما انصرف رياض باشا من السراي ، وصلت اخبار للعرابي من القصر بأن رياض باشا حضر عند أفندينا وعرض على مسامعه اعدامه هو وزملاءه رمياً بالرصاص . فالخديوي رفض ونفر من هذا الطلب . فقام وقعد عرابي

لهذا الأمر هو وزملاءه ، وتوجهوا في الحال لمنزل رياض باشا ، وقالوا له يا باشا استنجدنا بدولتكم لتساعدونا على نوال مطالبنا لا لأن تطلب اعدامنا، فما هذا الأمر ياباشا ؟ فقال لهم ، كل ما بلغكم من هذا القبيل لا صحة له ، وبيني وبين الخديوي موعد اليوم للبت في هذا الأمر، فطمنوا اخاطركم واعلموا أني في جانبكم . فقالوا نشكر الباشا ونحن على كل حال لا نريد موعداً آخر غير هذا اليوم ننتظر فيه الجواب النهائي ، فقال لهم ، اتعشم ذلك فتركوه وذهبوا — وهو في الحال قام الى السراي واستخدم حدته المعروفة مع الخديوي ، لأنه اعتقد ، ان سموه هو الذي اوعز اليهم بتلك الاخبار ، وفي أثناء ذلك حضر عثمان رفقي باشا ناظر الحربية فقال — الناظر المذكور — المسألة التي تخشاها دولة الرئيس ضعوها على عهدتي وانا الكفيل بحلها ، فقال رياض باشا وهو كذلك ، وعلى ذلك وضعت المسألة وحلها بين يدي ناظر الجهادية ، فماذا فعل سعادة الناظر ؟

قام من لدن الجناب الخديوي وتوجه لديوان الحربية ، وكان اذ ذاك في قصر النيل ، وطلب عرابي وزملاءه : فأجابوا الطلب في الحال ، وتوجهوا لدى سعادته . وبمجرد وصولهم لديوان الجهادية : قابلتهم هيئة عسكرية من قبل ناظر الحربية وبادرتهم بالقول « انزعوا سيوفكم وسلموها لنا » فقالوا ماذا فعلنا حتى تنزع منا سيوفنا ؟ فقيل لهم « هكذا أمر ناظر الحربية » فقالوا أمر ناظر الحربية مطاع ، وخلعوا سيوفهم وسلموها فقيل لهم بعد ذلك « تمشوا » فقالوا الى اين فقيل لهم (الى السجن) فقالوا ولماذا ؟ فقيل لهم (هكذا أمر ناظر الحربية) فقالوا أمره واجب الطاعة

وتوجهوا الى السجن ، ولا تسأل عن الفرح والابتهاج، الذى دخل على قلب عثمان رفقي باشا ناظر الحربية، عندما امكنه التمكن من نزع سيوفهم ووضعهم بالسجن ، ولكن هذا الفرح لم يدم بعض دقائق ، اذ ما وصلت أقدام عرابى وزملاءه سجن الحربيـة ، حتى حضرت الآلايات كالمطر السائل من العباسية وخلافها، بجميع معداتها من ذخيرة ومدافع ونحو ذلك، وحاصرت نظارة الحربية لقصد الانتقام ، ونجاة الاميرالايات المسجونين . فارتجت لذلك نظارة الحربية رعباً وخوفاً ، وهرب ناظرهـا بواسطة القاء نفسه من احدى نوافذ النظارة الى نهر النيل ، ولولا هـذه الطريقة لمـا نجت حياته ، ودخل الجيش النظارة، وحطم أبوابها، وأخرج الضباط الذين وقعت عليهم الاهانة، فقادوا الجيش بزعامة عرابي الى سراي عابدين، وحاصروها ووجهوا اليها المدافع، وطلبوا اما اجابة مطالبهم فى الحال، واما هدم السراي على من فيها، فما كان من الخديوي سوى الامتثال والطاعة، لكل رغائب الجيش ، وكان ضمن طلباته، عزل الضباط الجراكسة والاتراك واستبدالهم بمصريين — وتشكيل مجلس عسكرى لمحاكمة ناظر الحربية مع سجنه رهين التحقيق معه عما وقع منه — وعزل رياض باشا من خدمة الحكومـة — تشكيل مجلس نواب بمعنى الكلمة ينظر فى شئـون البلاد — وتشكيل نظارة مسؤولة امام المجلس المذكـور برئاسة شريف باشا . هذه كانت طلباتهم التى طلبوها وهم محـاصرين للسراى ، فجيبت جميعها ، وصدرت بها الدكريتات، فى الحال قبل قيام العساكر والمدافع من ساحة عابدين، وشرع فى تنفيذها باجمعا — وهـذه هى المرة الوحيدة التى

عزل فيها رياض باشا من خدمة الحكومة، لانه فى كل المرات كان هو الذي يستقيل بنفسه

والرجل ذو فضل عميم على مصلحة البلاد، وقد قصد بعض المؤرخين تشويه سيرته عمداً، وأقصد بالذكر منهم، المرحوم ميخائيل بك شاروبيم، وذلك لحقد فى نفسه، بسبب غضب رياض باشا عليه، وعزله من خدمات الحكومة . فكل ما قاله هذا المؤرخ عن رياض باشا، هو بعيد عن الحقيقة، ومسطور عن غل ليس الا، ومن باب العدل والانصاف. وذكر الحقائق كما هي، اردت التنويه عن ذلك .

بعد ذلك ابتدا الجيش، أن يسير فى جملة اصلاحات : منها تنظيم الجيش المصرى : ومنها تشكيل مجلس النواب من أعظم أعيان ومفكرى البلاد، وتعين رئيساً له المرحوم سلطان باشا، وتشكلت نظارة يرأسها شريف باشا وعين فيها عرابي ومحمود باشا الباوودى نظاراً، فلم تدم طويلا وسقطت. واعقبتها نظارة محمود باشا البارودي ودامت وقتاً من الزمان وسقطت . وكان فى أثناء هاتين النظارتين، يسير الجيش بجد واجتهاد فى اصلاح شؤون كثيرة وطنية، واصبحت الكلمة بعد أن كانت للجراكسه والسراى، للجيش الذى صار جيشاً وطنياً بالمعنى العميم، والتفت حوله قلوب أهالى البلاد وعنته .

وكانت هذه الحركة، أول حركه وطنية أيقظت اهالى البلاد من سباتهم، وعلمتهم المطالبة بحقوقهم، بعد أن كانوا أذلاء خاضعين .

وبعد ذلك تشكلت نظارة برئاسة عرابى باشا. وبدأت أن تتغالى



محمود سامي باشا البارودي

في الامور، ودخلت في نفسها المطامع الشخصية، فتغلبت الحركة الوطنية من لونها الجميل، الى فتنة داخلية.

وفي ذات ليلة، توجه العرابي ومعه كبار الضباط منزل المرحوم سلطان باشا الذي كان رئيساً لمجلس النواب — وطلبوا منه عقد المجلس في الحال، فقال لهم الرئيس، أن دور انعقاد المجلس انتهى، وبحسب القانون لا يمكن جمعه وعقده، الا بدكريتو خديوي اذا كان هناك أمر هام جداً، فما هي الحالة الهامة التي لديكم حتى يمكني أن استصدر دكريتو بعقد المجلس؟ فتبرى للباشا في الحال، ضابط برتبة بكباشي اسمه عبيد أفندي، واخرج سيفه من جرابه وقال وحياة سيفي هذا ان تأخر انعقاد المجلس في هذه الليلة ولم تجب طلباتنا لاقطعن رقاب الحاضرين. — فهزء المرحوم سلطان باشا بهذا الكلام وضحك قائلا للعرابي، أمثل هذا ياعرابي تحكم مصر؟ وأظهر الباشا غضباً عظيما، فاعتذر العرابي للمرحوم سلطان باشا هو وكل من معه من الضباط، واظهروا له الاحترام والطاعة، وطردوا في الحال من المجلس عبيد افندي، واخيراً اختلى سلطان باشا بالعرابي وقال له. ما قصدكم من اجتماع المجلس؟ فقال العرابي اصدار قرار بخلع الخديوي، فقال له الباشا. وهل الخديوي تعين بامر المجلس او بقرار من الامة المصرية فقال العرابي، هذا لا يهمنا بل يهمنا ان نواب الامة يصدرون قراراً بعدم رضاهم عنه ويقررون خلعه فقال الباشا. هب انا اتفقنا على ذلك فمن انتقم فيما بينكم ممن سيكون خلفاً للخديوي فسكت العرابي. فقال له نيتنا، اجتمعوا بمنزلكم وقرروا فيما بينكم من تريدون ان يكون خديوياً، وحين

ذلك لو اجتمع المجلس وقرر اجابة طلبكم . فيكون قرار الخلع شاملا قرار تعيين الخلف ويكون الخديوي الجديد موجوداً حاضراً للجلوس على كرسي الخديوية فاستحسن العرابي هذا الرأي ، معتقداً انه لا يمكن احد ان يرشح نفسه سواه للخديوية على ان المرحوم سلطان باشا كان معتقداً كل الاعتقاد بعدم نجاح ذلك نظراً للمزاحمة بين جميع ضباط الجيش المصري ، وكل منهم كان يعتقد انه احسن واليق من الآخر ، ولذلك لم يجد سلطان باشا احسن حيلة للتخلص من هذه الورطة ، سوى الفكرة التي ابداها ، وقد تمت احلامه ، اذ لما عقد العرابي مجلساً بمنزله من الضباط والاعيان ، للنظر في هذه المسألة ، وقع خلاف كبير بين الجميع ورشح كل منهم نفسه ، وعلى الاخص كثر التزاحم من المرحوم محمود باشا البارودي مستنداً على أنه من سلالة سلاطين مصر القدماء . فضاعت بذلك كل أحلام وآمال العرابي ، فصرف المجلس بطريقة لطيفة ، وقصد في الحال للمرحوم سلطان باشا شاكراً ممتناً لسعادته ، قائلا له لو تم أخذ القرار بخلع الخديوي وأردنا تولية خديوي منا بعد ذلك ، لوقع بيننا شقاق ، ربما كان يؤدي الى مذبحة ، فنحمد الله على وقوفنا عند هذا الحد ، فانسر سلطان باشا سروراً عظيما لخلاصه من ورطة ليس من اختصاص المجلس النظر فيها من جهة ، ولنجاحه فيما دبره من جهة أخرى ، على أن هذا لم يمنع العرابي ولا زملاءه من تفانيهم في المطامع ، واستحواذهم على كل نفوذ وسلطة في جميع المصالح والاعمال ، مما قلب كيان الحركة الوطنية النافعة ، الى فوضى وخلل عام ، وخاف الخديوي على حياته وعرشه ، فقام للاسكندرية واستنجد

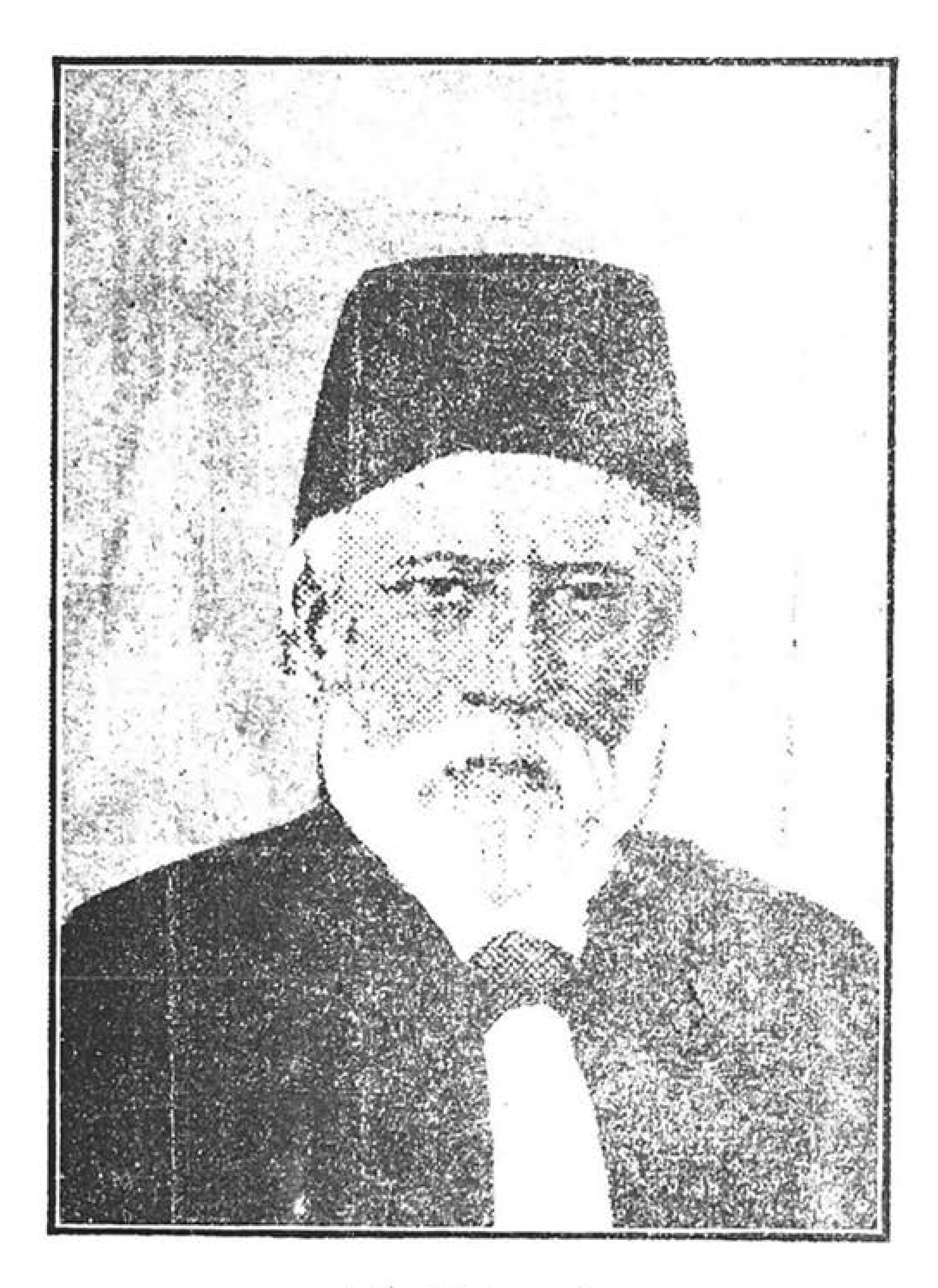
بدولة بريطانيا، فاما علم بذلك العرابى أعلن خيانة الخديوى للبلاد، ولم يعتبر النظارة القائمة بأمر الخديوي أنها ممثلة للحكومة المصرية ، بل انها نظارة تمثل الخديوية، وشكل نظارة بأمره، وعزل كثيرين من المديرين والحكام، وولى بدلا عنهم أشخاصاً من الموالين له ، ونفذ كل ذلك بقوة الجيش، وأصبحت النظارة مشلولة الايدي لا عمل لها ، واستمر عرابى يدير الحركة العامة كخديوي مطلق الحرية الى أن دخلت الانكليز . وكانت قد عرضت على فرنسا الاشتراك معها فى العمل لقمع هذه الفتنة ، وتوطيد أركان الامن فى البلاد فتنحت فرنسا عن ذلك بلسان المسيو دي فريسينيه وزيرها وقتها، وكان لرفضها هذا فرحاً وسروراً لدى الانكليز لأنهم وان كانوا اضطروا لعرض الامر عليها ، بالنسبة لاشتراك مصالح الدولتين ، الكبرى ، بمصر الا أن فى الحقيقة كانت الدولة البريطانية تود من صميم فؤادها الانفراد بالعمل ، وتم لهاما كانت تتمناه، على أن فرنسا رجعت فندمت ندماً شديداً ولكن ليت حين مناص ، لان الفرصة كانت قد مضت وقضي الامر ، ودخل الانكليز مصر ، واحتل جيشهم البلاد ، وقبضوا على عرابى وزملاءه وسجنوهم وعمل معهم تحقيق ، وحكم عليهم بالاعدام ، وتعدل الحكم بالنفي الى سيلان مما شرحه المؤرخون والكتاب كما هو معلوم

وكان الخديوى عند دخول الانكليز مصر وقضائهم على هذه الفتنة ، كان مقيما بسراى رأس التين بالاسكندرية ، فلم يرغب الدخول لمدينة القاهرة الا بعد أن يعود اليها رونقها ونظامها ، الذي أفسده العرابيون فى آخر عهدهم ، حيث جعلوها كقلعة حرب ، وكمستشفى لمرضى الحرب ، مما شوه

منظرها ، وأزال بهجتها، فعين المرحوم سلطان باشا نائب خديوى، يقيم بمصر لاصلاح ما فسد فيها، مع قيامه بجميع شؤون الحكومة لحين ما تتشكل نظارة تتسلم زمام الاعمال ، وفعلا تم ذلك الى أن استدعي رياض باشا من أوروبا وشريف باشا، وتشكلت نظارة برئاسة شريف باشا، وجعل رياض باشا فيها وزيراً للداخلية ، ودخل الخديوى على يدها مصر معززاً مكرماً شاكراً لما قام به سلطان باشا من الاعمال

وقد وضع نظام تسير عليه البلاد المصريه باشارة من دولة بريطانيا ، كلف بوضعه المسيو دفرين باشتراك المرحوم شريف باشا ، وكان الحارس الامين على هذا النظام وتنفيذه، ذلك الرجل العظيم، المقتدر العادل، اللورد كرومر، فانه والحق يقال ، كان حاكما، وحارساً أميناً، وقاضياً عادلا، ومنظماً حكيماً، شديد البطش عند الحاجة ، ووديعاً في موضع الوداعة واللطافة ، وقام بجملة خدمات عظيمة للبلاد وأهلها ، وحمى الضعيف من القوى، ودافع عن حقوق المساكين الذين لا سند لهم، مما خلد له ذكراً لا يمحى ولا ينسى، عند مصر والمصريين

وبهذه المناسبة قد عزا أبن العرابي، أعمالا للمرحوم سلطان باشا غير صحيحة، فعلى سبيل الاختصار وعدم التطويل، في الشرح والبيان ، نكتفي بنشر ما سبق نشره منا على صفحات الجرائد، رداً على ما نشره في حق المرحوم سلطان باشا



محمد سلطان باشا

المرحوم سلطان باشا [١] والمرحوم عرابي باشا

الحقيقة والتاريخ

قرأت في جريدة المحروسة الغراء الصادرة في يوم الاربعاء ٢١ نوفمبر سنة ١٩٢٣ مقالا بامضاء حضرة عبد السميع بك عرابى لا اتعرض لشيء مما جاء فيه سوى المسألة الخاصة بالمرحوم سلطان باشا

ذكر حضرة صاحب الرسالة ، انه كان لا يود أن تفتح أمامه مسألة مؤلمة، كالمسألة الخاصة بالمرحوم سلطان باشا ، ولكن اضطره المقام بأن يذكر معلوماته فيها ، فقال بطريق الاجمال ، ان سلطان باشا كان من رؤساء الحركة الوطنية ، وكان يظن انه يستطيع بمواهب عرابي وقوة الجيش ، الحصول على رئاسة البرلمان، ومن ثم تتم له زعامة الحزب الوطني ، بما له من مميزات الغنى والجاه ، فأيد عرابى فى جميع الاحوال ، الى ان فزت الامة بالمجلس النيابى ولكنه لما رأى ان الامة تتحدث باسم عرابى ، بكل اعجاب وثناء ، تسرب الحسد الى نفسه ، ولما تشكلت وزارة محمود باشا سامى ، كان يطمع أن يكون فيها وزيراً ، فلم يتحقق امله ، وعلى ذلك أخذ سلطان باشا يضلل أعضاء مجلس النواب وغيرهم، وينفرهم من عرابى ويغريهم بالتخلى عنه ، ولكنه لم ينفره ، لأن

(١) هذه الرسالة نشرت بجريدة المقطم الغراء بالعدد نمرة ١٠٥٦٠ الصادر بتاريخ ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٢٣

الامة بكل طبقاتها كانت فى جانب عرابي باشا الى النهاية الى آخر ماجاء برسالة عبدالسميع بك فى هذا الشأن

فاستسمح حضرة عبدالسميع بك العرابي، بأن أعلم حضرته ، أن كل ماذكره عن المرحوم سلطان باشا فى هذا الصدد، لايطابق الواقع، وقبل أن أقدم الادلة على صحة ماأقول ، اذكر للجمهور أولا الاسباب التي دعت لقيام الحركة العرابية فأقول : —

ان منشأ الحركة العرابية كان مسبباً عن الظلم والجور ، اللذين لحقا بضباط الجيش المصريين، من الاتراك والجراكسة ، حيث كان فى ذلك الوقت، يوجد شبه احتلال تركى جركسى للبلاد عموماً، وكان مسيطراً على جميع المصالح العسكرية والملكية، بحيث كان لايسمح لأي ضابط مصري، مهما كانت مواهبه . أن يتعدى رتبة اميرالاي ، فأوجب هذا تذمر الضباط المصريين، مماترتب عليه قيامهم وتعاهدهم بعضهم مع بعض ، على القيام بحركة مهما كانت نتيجتها، ضد هذا الاحتلال التركي الجركسي، هذا هو الاساس الذي قامت من اجله الحركة العرابية . ولما كان البروجرام المعمول لها، يشمل أيضاً طهارة المصالح الملكية من الموظفين الاتراك والجراكسة، انضم اليهم كثير من اعيان البلاد وكبرائها، وأخذ بناصرهم المرحوم سلطان باشا بما كان له من النفوذ الكبير والسلطة العالية . وانا كنت من الملازمين للمرحوم سلطان باشا فى جميع ادوار الحركة العرابية، كما انى كنت صديقاً حميما للمرحوم عرابى باشا وكثيرين من الضباط العظام، الذين اشتركوا معه فى هذه المعركة الوطنية — وأنى أريد فى هذا المقام، أن أذكر وقائع تاريخية حضرتها بنفسى

وهي مطابقة للواقع، مجردة عن كل غرض وغاية، اللهم الا خدمة الحقيقة والتاريخ

أنا لا أنكر أن عرابي باشا، قام في بدء الحركة الوطنية، بخدمات عظيمة جداً تعبر عن اخلاص تام للوطن وتشرف القائمين بها. هكذا كان مبدأ الحركة وهكذا نظر الجميع اليها، ولكن حصل رد فعل تسبب عن سكرة النجاح الباهر، مما أدى الى الفوضى والفشل كما سيأتي بيانه

وقبل أن أتكلم رداً على الاقوال الخاصة بالمرحوم سلطان باشا، أذكر أولا مركز سلطان باشا الادبي من حيث هو

فسلطان باشا كان يشغل مركزاً حاكم الصعيد العام، تخضع لأوامره كل حكام الاقاليم القبلية، وعمد تلك البلاد وأعيانها وأهاليها، خضوعاً تاماً، وكان ذا جاه عريض جداً وسلطة واسعة، فمن هذا يعلم انه لم يكن في احتياج الى جاه غيره ليتوصل الى مركز عال. ولما بدأت الحركة العرابية ورأى من مبادئها خدمة للبلاد، انضم اليها بكل نفوذه، وعضدها بكل قواه، لا حباً بوظيفة — لانه كان يشغل أعظم المراكز — بل حباً بخدمة البلاد التي كان يتفانى في خدمتها، واستقلالها استقلالا تاماً، من سيطرة الاتراك.

هذا مادعاه الى الانضمام الى الحركة العرابية؛ لا كما يقول حضرة صاحب الرسالة، انه كان يقصد الحصول على رئاسة مجلس البرلمان. لانى أجل سلطان باشا عن هذا الامر تماماً، ومن عرف سلطان باشا كما عرفته أنا، يعلم انه كان الرجل الوطني الصميم الذى خدم بلاده أجل الخدم. بل ربما لم يوجد مصرى خدم بلاده مثله.

وعندما ألف البرلمان، انتخبته الامة رئيساً له، ولا يعقل ان الذي يتقلد

وظيفة رئيس البرلمان ، يطمع في أن يكون وزيراً في وزارة محمود باشا سامي ، كما يقول حضرة صاحب الرسالة ، لان وظيفة رئيس البرلمان فوق وظيفة رئيس الوزراء ، وقول عبد السميع بك نفسه أن سلطان باشا ، كان صاحب سلطان ونفوذ وجاه ، ينفي قوله انه أراد أن يستعين بنفوذ وجاه العرابيين للحصول على وظيفة وزير ، لان نفوذه كان عالياً وعالياً جداً الى النهاية بحسب مركزه الادبي ، والمراكز الحكومية التي شغلها.

وبعد أن اتجهت أنظار العرابيين ، الى محاربة الجراكسه والاتراك واسقاطهم ، وبالفعل حصلوا على ذلك وعلى أكثر منه . اذ امكنهم بقوة الجيش الحصول على تأليف برلمان وسن عدة قوانين لمصلحة البلاد — وبعد ذلك اتجهت أفكارهم الى محاربة الخديوي شخصياً ، وطمحت ابصارهم الى الاستيلاء على العرش ، واذكر اني كنت مع المرحوم سلطان باشا في سرايه ذات يوم ، واذا عرابي باشا قد حضر ومعه عدة ضباط من الجيش وطلبوا منه عقد البرلمان في الحال ، فقال ان مدة انعقاد البرلمان انقضت والقانون يقضي انه اذا حدث أمر خطير ، يستوجب انعقاد البرلمان بطريقة استثنائية ، يلزم استصدار أمر عال بذلك ، فخبروني ماهو الامر المهم الذي حدث حتى يستوجب عقد البرلمان ؟ فكان جوابهم بشدة وعنف بل بتحكم ، ليس هناك داع لصدور أمر عال بانعقاد البرلمان ، بل يجب عقده بناء على طلبنا في الحال ، فقال وماهو الموضوع الذي تريدون أن تتكلموا فيه فقالوا ، عزل الخديوي ، فقال لهم ، وهل الخديوي تعين بامر البرلمان المصري حتى يقرر عزله ؟ فقالوا لا نريد أن نسمع مناقشة بل نريد ان نفعل مانشاء ،

فقال لهم وهل رشحتم من تخلفه حتى يكون قرار البرلمان بالعزل شاملا لتعيين الخلف ؟ وكان عرابي ينتظر من الجميع أن يقولوا أن الخلف عرابى ، ولكن لم ينطق أحد منهم بذلك بل بعد أن تداولوا فيما بينهم، قالوا اننا نؤجل البت فى ذلك الى الغد . وفى هذه الليله نقرر من يكون الخلف وعلى ذلك تأجل انعقاد البرلمان اى اليوم التالى ، حتى يتم الامر بينهم على اختيار من يريدون ، وانصرفوا من سراى سلطان باشا على هذا الوجه، وقصدوا منزل عرابى باشا ، وعقدوا اجتماعاً فى منزله من جميع الضباط العظام، للمداولة فى من يكون خلفاً للخديوى، فاشتد الهرج بينهم فى تلك الليلة، فقال المرحوم محمود باشا سامي البارودى، انى أنا اولى بالملك، لانى من سلالة ملوك. وقال عرابى باشا ، ولكنني رئيس الحركة الوطنية وموجدها، وقال آخرون غير ذلك ، الى أن قال المرحوم طلبه عصمت باشا « لكل منا اعمال عظيمة فى هذه الحركة ، فيجب ان نعامل كلنا بالسواء، بلا تمييز واحد على الآخر، فيحسن أن نجعل كل مديرية خديوية ، قائمة بنفسها، وكل منا يكون خديويا لها » وحينذاك يئس عرابي باشا واستحسن من البعض ان تبقي الحالة كما هى عليه الآن ، ويبقي الخديوى فى مركزه الى فرصة أخرى، وبعد ذلك توجه عرابي باشا الى سراي المرحوم سلطان باشا ، وشكر سعادته على نظره البعيد، وعدم تسرعه باجابة طلبهم، اذ لو اجاب الطلب لحصلت معركة دموية بينهم بسبب التزاحم على مركز الخديوية .

نظر سلطان باشا الى كل هذه الاحوال ، ورأى ان الخدمة التى كان ينتظر تأديتها للبلاد من العرابيين ، ظهر عكسها ، حيث تحركت المطامع

فقال لهم وهل رشحتم من تخلفه حتى يكون قرار البرلمان بالعزل شاملا لتعيين الخلف ؟ وكان عرابي ينتظر من الجميع أن يقولوا أن الخلف عرابى ، ولكن لم ينطق أحد منهم بذلك بل بعد أن تداولوا فيما بينهم، قالوا اننا نؤجل البت فى ذلك الى الغد . وفى هذه الليله نقرر من يكون الخلف وعلى ذلك تأجل انعقاد البرلمان اى اليوم التالى ، حتى يتم الامر بينهم على اختيار من يريدون ،وانصرفوا من سراى سلطان باشا على هذا الوجه، وقصدوا منزل عرابى باشا ،وعقدوا اجتماعاً فى منزله من جميع الضباط العظام، للمداولة فى من يكون خلفاً للخديوى، فاشتد الهرج بينهم فى تلك الليلة، فقال المرحوم محمود باشا سامي البارودى، انى أنا اولى بالملك: لانى من سلالة ملوك .وقال عرابى باشا ، ولكنني رئيس الحركة الوطنية وموجدها، وقال آخرون غير ذلك ، الى أن قال المرحوم طلبه عصمت باشا « لكل منا اعمال عظيمة فى هذه الحركة ، فيجب ان نعامل كلنا بالسواء، بلا تمييز واحد على الآخر، فيحسن أن نجعل كل مديرية خديوية ، قائمة بنفسها، وكل منا يكون خديويا لها » وحينذاك يئس عرابي باشا واستحسن من البعض ان تبقي الحالة كما هى عليه الآن ،ويبقي الخديوى فى مركزه الى فرصة أخرى، وبعد ذلك توجه عرابي باشا الى سراي المرحوم سلطان باشا ، وشكر سعادته على نظره البعيد، وعدم تسرعه باجابة طلبهم، اذ لو اجاب الطلب لحصلت معركة دموية بينهم بسبب التزاحم على مركز الخديوية .

نظر سلطان باشا الى كل هذه الاحوال ، ورأى ان الخدمة التى كان ينتظر تأديتها للبلاد من العرابيين ، ظهر عكسها ، حيث تحركت المطامع

الشخصية في نفوسهم ، فقال لهم اما الآن وقد تحصلنا على دستور للبلاد ووضعنا قواعد اساسيه لسير الاحكام فيحسن بالجيش المصري ان يقف عند هذا الحد لأن الاجانب قلقون جداً من العسكرية الدائمة، فلم يرق هذا القول للعرابيين، وعدوه خيانة من المرحوم سلطان باشا ، ولم يعبأوا بنصيحته، بل ظلوا مستمرين على تهديد العرش، مما استوجب مخاوف الخديوي ، فاستغاث بأوروبا ، لتساعده على خلاص عرشه من التهديد ، والبلاد من الفوضى

فلبت دعواه فرنسا وانجلترا ، وأخيراً تخلت فرنسا وانفردت انكلترا، فاما علم بذلك العرابيون، وضعوا البلاد تحت الاحكام العسكرية ، وفرضوا عليها تموين الجيش من غلال ومواشي وكل مايلزم له مما ازعج البلاد ازعاجاً كبيراً واستولوا على جميع مراكز الحكومة وصاروا يعزلون ويولون الحكام من مديرين ومحافظين وغيرهم بمعرفتهم، وكانت الاوامر التي تصدر بهذه الاجراءات يذكر فيها، ان هذا بناء على امر حامي حمى الديار المصرية افندينا العرابي باشا . وفي هذه الاثناء ، اعلن أن البلاد في حالة حرب مع المملكة الانجليزية . وعند حضور الاسطول الانجليزي وعساكره وقيامهم بمواجهة العرابي ، انعقد مجلس عال بالاسكندرية تحت رئاسة الخديوي وقرر أن يقوم المرحوم سلطان باشا الذي كان حينئذ بمعية الخديوي بمصر ليتولى زمام الاحكام بالمساخ ، بالنيابة عن الخديوي عند وصول جيش الانكليز الى مصر ، وكان ينتظر ان يكون ذلك سريعاً حتى لا يكون مركز البلاد خالياً من تمثيل الجناب العالى ، وعند ما شعر العرابي بذلك أمر مدير المنياء وهو حينئذ اسماعيل بك القيسي ، بأن يأخذ كل مملوكات

سلطان باشا من غلال وخيل ونحوها، ويرسلها الى مخازن الجيش، ويختم منزل سلطان باشا بالمنيا بالشمع الاحمر، حتى ينظر في امره، وحصل ذلك فعلا وكل هذا كان بسبب تخلي المرحوم سلطان باشا عنهم، للاسباب التي ذكرت وعند دخول الانكليز الى مصر، اراد سلطان باشا ان يتحقق الى اى حد ترمى المقاصد الانكليزية بحضورهم. فأكد الجنرال ولسلي قائد الحملة وجناب السر ماليت وكيل الدولة الانجليزية حينئذ، أن مهمتهم هي اخماد الفتنة العرابية، وحفظ العرش من التهديد، وبانتهاء ذلك تكون مهمتهم قد انتهت، وينصرفون الى بلادهم ... أكدوا هذا للمرحوم سلطان باشا. الذي كان شغوفاً بحب وطنه، وخائفاً من سيطرة الانكليز عليه، لانه ليس من المعقول أن سلطان باشا يحارب الاحتلال التركى، الذى فى نظره كابوساً على البلاد، ويسعى للاستعاضة عنه بالاحتلال الانكليزي

هذه هى الوقائع التاريخية بحقيقة ما حصل حسبما اتذكرها وجملة القول ان كل التهم التى نسبت الى المرحوم سلطان باشا، سواء كان مما سطره حضرة عبد السميع بك العرابي أو غيره. لا تطابق صفات المرحوم سلطان باشا واعماله، لانه كان رجلا وطنيا صميماً شغوفاً بحب المصلحة العامة، نزيها فى جميع تصرفاته، عالي النفس، كريم الاخلاق، شهماً همماً، قل أن نجد البلاد نظيره

فللحقيقة وللتاريخ، وقياما بعهد الصداقة التى كانت تربطني بالمرحوم سلطان باشا، رأيت من الواجب على اعلان الوقائع التاريخية كما حصلت م؟

قليني فهمي

للحقيقة والتاريخ [١]

المرحوم سلطان باشا والمرحوم عرابى باشا

قرأت مانشره حضرة عبد السميع بك عرابى ، رداً على كلمتى التى توخيت بها تبرئة المرحوم سلطان باشا ، مما نسب اليه من التهم البعيدة عن الحقيقة ، والتى بنيتها على حقائق شهدتها بنفسي ،فليت حضرة عبدالسميع بك ، قصر رده على المسائل الخاصة بالمرحوم سلطان باشا ، ولكنه وسع نطاق البحث بما نشره بجريدة المقطم الغراء فى يومي الاربعاء والخميس الماضيين ، توسيعاً اضطرنى الى استئناف الاجابة على أقواله ، ومن باب الاستطراد الى ذكر وقائع شتى تتعلق بالمسائل العرابية وهوما كنت أود بقاءه مطوياً فى غرارة فاستميح عبد السميع بك العذر عما الجأنى الى المكاشفة به ، واشكر له فى آن واحد وفاءه لأبيه العظيم لأن الابناء البررة تظهر ثمرة آدابهم وعلو صفاتهم بحفظ كرامة منجبيهم

أذكر هذا وانا مقتنع ، ان الحركة العرابيـة كما قلت قبلا ، كانت فى مبدأها حركة وطنيـة محضة ، ترمي الى الخدمة العامة ، ولكن بين عشية وضحاها ، انقلبت الى فتنة أقامت الامة واقعدتها ، ولو دامت شهراً واحداً بعد دخول الانكليز لمصر ، لقضت على البلاد قضاء تاماً ، ذلك لان الرجل قد أحاطت به قوة من الضباط ، أصبح لاقبل له بها فما لبث ان افسدت

....

(١) هذه الرسالة نشرت بجريدة المقطم الغراء بالعدد ١٠٥٧٢ الصادر بتاريخ ١٢ ديسمبر سنة ١٩٢٣

عليه اصلح نياته . وكان من نتائج اضطراره لمطاوعتها ماهو معلوم ، فمع شكري لحضرة عبد السميع بك لذوده عن والده ، لاأجد بداً من القول ان الدفاع الشريف ، لايترتب عليه اتهام الابرياء بتهم لاحقيقة لها ، خصوصاً اذا كانوا من عظماء الرجال العاملين ، الذين تفانوا في خدمة الوطن كسلطان باشا . على انى أجدني فى غنى عن الشرح الطويل ، فى ردي على حضرة عبدالسميع بك ، لأن من يقرأ أقواله يجد فى أول كل جملة منها نفياً لما أذكره ، وفى آخرها تأييداً أو تصديقاً له ، مثال ذلك ، انني لما آخذته بقوله « ان سلطان باشا كان يظن انه يستعين بمواهب عرابي باشا وقوة الجيش للحصول على رئاسة البرلمان ومن ثم تتم له زعامة الحزب الوطني بما له من مميزات الغنى والجاه » قال في آخر هذه الجملة انه يقصد بعبارته هذه » ان سلطان باشا من رؤساء الحركة الوطنية وكان يظن انه يستعين بمواهب عرابى وقوة الجيش للوصول الى البرلمان » فلانكار والاثبات بجملة واحدة تناقض غريب أراد به ادحاض حجتي فما زادها إلا تعزيزاً

أما اذا تعذر الجواب على حضرة عبد السميع بك ، فاليك مثالا من اجابته المفحمة . نقل حضرته قولي « ان العرابيين اتجهت أفكارهم بعد حصولهم على طائفة من القوانين الى محاربة الخديوي شخصياً وطمحت أبصارهم الى الاستيلاء على العرش » فأجاب عليه بما نصه « هل هذا كلام معقول وهل فى هذا القول خدمة للحقيقة »

استمر حضرة عبدالسميع بك على نحوه هذا من المحاورة ، الى ان قال « لما نزلت الجنود الانجليزية أرض الاسكندرية وتقابلوا مع الخديوي

والنظار أصبح استمرار عرابي في دفاعه غير مرغوب فيه، بل اعتبر عصياناً وتمرداً ، ولكن الأمة التي يعنيها الامر مباشرة، قررت في أشخاص الهيئة التي اجتمعت في مصر لادارة شؤون البلاد مؤقتاً « أعني بعد ان أعلن الخديوي عصيانهم وتمردهم » وجوب الاستمرار في الدفاع عن البلاد وهي التي لقبت عرابى باشا بحامي حمى الديار المصرية

ففي صدر الجملة يقول ، هل يعقل ان العرابيين يحاربون الخديوي، وفى آخرها يذكر ان الأمة هي التى قررت الدفاع عن الوطن بالطريقة التى نظرها العرابيون رغم اعلان الخديوي عصيانهم ، أيعد هذا في عرف عبد السميع بك طاعة واخلاصاً للخديوى وتفانياً فى حب العرش ، وهل قيام وزارة سامى باشا بالامر فى البلاد فى نفس الوقت الذى ألف فيه الخديوى وزارة راغب باشا باعتبار ان وزارة العرابى خارجة عليه، يسمى طاعة واخلاصاً ؟ وهل استيلاؤهم على البلاد ومصالح الحكومة، وتجاهلهم وجود الخديوي وحكومته ، وقيامهم بشؤون الأمة مباشرة يدعى طاعة واخلاصاً ؟ نترك لحضرته الجواب على ذلك ، ونسأله سؤالا آخر — ماذا كان العرابيون يقصدون من استحضار الجيش باكمله واحاطتهم بسراى عابدين بالمدافع ومعدات الحصار ؟

نحن لا نروي رواية عن رقائل بل نذكر وقائع حضرناها شخصياً واعتقد ان حضرة عبدالسميع بك، لم يكن حاضراً فى ذلك العهد، فمن هذه الوجهة له العذر . نحن نصف مشهودات شهدناها، وحضرته يروي روايات سمعها أو ينقل عن اوراق وجدها، والفرق ظاهر بين الحالتين

انا ما زلت اقول — وأقول بحق لا لغرض في النفس — ان المرحوم سلطان باشا ارفع واعلى مما نسب اليه، وكل من اهالى القطر المصري والسوداني يعرف **ذلك** عنه، وقد حصر بيته وختم بالشمع الاحمر، بعد ان نهبت مقتنياته وكاد الرجل يرد موارد التهلكة غير متردد فى مبدئه على كونه لو جارى العرابيين لاحرز المقام الذي يريده بينهم، ألم يسمع حضرة عبد السميع **بك** بشيء من ذلك! وهل اتاه حديث المرحوم شاكر باشا مدير المنيا، وغيره من حكام الاقاليم اللذين **أ**خذو بأمر العرابيين فى سلاسل من حديد، مخفورين بقوة الجيش وسجنوا بالطوبخانة لانهم نصحوا أولئك السادة بالاعتدال لا لذنب آخر، فاننا لم نجد لذكرى هذه الاحوال اثراً بقلم حضرة عبد السميع بك، ثم انى ما زلت أكرر ان مطمع العرابيين في العرش لا شك فيه، وانه لم يثنهم عنه سوى التنافس بينهم والاختلاف فيمن يشغل هذا المركز، حتى انه فى اليوم الذي تلا مداولتهم هذه لتقرير من يتولى العرش منهم، انتشر خبر عم مدينة المحروسة، وجرى على الالسنة فى أثره ان السيدات نساء العرابيين اجتمعن وتوازعن فيما بينهن سرايات البيت المالك، ووقع الخيار على سراي القبة وسراي عابدين للعرابى. أقول **وأ**وكد ان العرابيين صمموا على عزل الخديوي وسعوا لذلك **بكل** الوسائل ولولا حكمة المرحوم سلطان باشا وبعد نظره واستخدامه دهاءه، لحملهم على انتخاب خديوي منهم قبل عزل الخديوى القائم يومئذ حتى يكون قرار مجلس النواب بالعزل شاملا للتولية، ولولا ذلك لحصلوا يوم وجودهم مع سلطان **باشا** على قرار من البرلمان بعزل الخديوي، وناهيك بما يترتب على

ذلك من الفوضى فى البلاد، واستعباد مخلوقات الله وتحملهم فوق ما تحملوا من اجراءات تلك الطغمة

اما قول عبد السميع بك « ان وزارة شريف باشا استقالت وجاءت بعدها وزارة محمود سامى باشا التى نزلت على ارادة الامة وكانت هي أول وزارة وطنية حرة وفرحت بها البلاد وجاءت لها الوفود من الوجهاء والاعيان لتهنئتها » فقول فيه مغزى لا يخفى على اللبيب . مغزى قريب من الصراحة يراد به ان وزارة شريف باشا التى الفها الجناب الخديوي بعيدة عن سيطرة العرابيين كانت وزارة غير وطنية وغير مخلصة للبلاد ولذلك سقطت بقوة العرابي واتت من بعدها وزارة عرابية محضة تعبر عن الاماني القومية والاخلاص للبلاد . أجل هو قول فيه معان واسعة كبيرة لمن يقرأ بين السطور اقل ما يفهم منها ان الخديوي كان عدواً للبلاد ومحارباً للوطنيين فيها

ليخبرنا حضرته ان صح انه لم يكن هناك ارهاباً ولا تهديداً من العرابيين للعرش، لماذا اوفد الباب العالى درويش باشا لمصر؟

ومما نجمل ذكره هنا للقراء، ان استعفاء وزارة شريف باشا لم يكن للاسباب التي ذكرها حضرة عبد السميع بك، وانما السبب الحقيقى هو ان البرلمان عند ما عقد جلسته الاولى، كان من أول اعماله النظر فى الميزانية، الحكومة التى كان يرأسها المرحوم شريف باشا اذ ذاك، رفضت تلك المطالب فبنى على ذلك انتداب وفد من النواب لمقابلة شريف باشا، فاستقبلهم بشاشته المعروفه، وهو رجل رفيع الجاه عظيم القدر عالي النفس فابتدروه

بكلام الجفاء والغلظه ، ولما كانت اداب الرجل لا تتفق مع هذه الاخلاق، استقال فى الحال، وهذا ما كان العرابيون يودون الوصول اليه ، لتأليف وزارة مختصة منهم حتى يجمعوا بين قوة الحكم وقوة الجيش

يقول حضرة عبدالسميع بك، ان الدول الاجنبية كانت تدس بين عرابي باشا وبين الخديوي مع ان المعروف ان البارون دى رنج وكيل دولة فرنسا فى ذلك الحين، كان يعتقد فى مبدأ تلك الحركة انها ترمى الى الاستقلال والحرية التي هي من مبادئه، فشجع العرابيين كثيراً فى أوائل امرهم وكان سنداً قوياً لهم

ولكن لما ظهر له كما ظهر للمرحوم سلطان باشا ان الامور انعكست ونخشى من خراب البلاد وهدم العرش . انضم الى نائب انجلترا وطلب من الخديوي ابعاد عرابى وجماعته عن مصر حتى تهدأ البلاد وتحل الطمانينة محل الاضراب . وأشار المرحوم سلطان باشا على عرابي باشا وقتئذ بان نخرج متنزهاً الى أوروبا ولو شهرين أو اكثر حتى لاتفقد البلاد ماوصلت اليه ، فرفض هو وزملاؤه وعدوا سلطان باشا خائناً ، ولم يسمعوا نصائح الخديوي وظلوا لاجئين الى قوة الجيش الذى كان يحرسهم وعملوا تحصينات قوية جعلوا مراكزهم فيها الى أن حضر الجيش الانكليزي . وهنا استفهام أطلب الجواب عليه من عبد السميع بك ... هل يستطيع ان يخبرنا لماذا لم يواجه عرابي وجيشه الانكليز بالتل الكبير وقام بغتة هو ومن معه الى مصر وأدركه الانكليز فيها وكان ما كان ؟.....

يضاف الى ما تقدم ، كثير من تصرفات العرابيين واحوالهم الغريبة

التى أذكر منها على سبيل التمثيل واحدة مرت بى : فقد صدرت الى من الهيئة العرابية يوم تسلمها مصالح الحكومة ، بعد اعلان العصيان، وكنت اذ ذاك ، وكيلا لعموم جفالك الدائرة السنية — ثلاثة أوامر فى يوم واحد : الامر الاول ضرورة قلع جميع الاشجار من أراضى الدائرة وتكسيرها خشباً وارسالها لمطابخ الجيش فى أربعة وعشرين ساعه:الامر الثاني ارسال مافى مخازن الدائرة السنية من فحومات وتبونات وعسل وسكر ونحو ذلك فى مدة لا تزيد عن أربعة وعشرين ساعة الى مخازن الجيش: الامر الثالث خلع جميع اسلاك التلغراف الخاص بالدائرة السنية وسكك الحديد الضيقة التابعة لها وشحن ذلك فى أربعه وعشرين ساعة الى مخازن الجيش فهل . كان غير الله قادراً على نفاذ هذه المرهقات ؟ تلك أيام سود نسأل الله ان لا يعيدها . جرى فيها ماجري من التلف والدمار وانتهت باكبر الفواجع الحربية المخجلة — لقد لاح لى أن عبد السميع بك يترنم بذكر الايام العرابية ترنم التباهي فايسمح لنا ان لا نجدها محلا للتبجح والافتخار

قلت فى المقدمة ، اني كنت أود لو لم تفتح هذه المسألة ، ذلك لانها محزنة ، أقل مايقال فيها انها جاءت سبباً لخراب البلاد وضياع كيانها ، لافى ذلك الوقت وحده ـ ذلك الوقت الذى نهب فيه ما نهب للجيش أو باسمه من موجودات الامة غلالا وخيولا وجمالا وحميراً وكابد فيه الناس الوان العذاب وصنوف الذل والارهاق ـ بل الى هذا الزمن الذى مازالت البلاد فيه رازحة تحت حكم الكوارث مما حل بها على أثر تلك الفتنة المشؤومة .

هذه الوقائع كنا نود أن لا نتعرض لها ، ولكننا اضطررنا لذكرها تأييداً لحججنا وخدمة للحقيقة والتاريخ مجردة عن كل غرض وغاية ·

هذه كلمتي ختاماً لتلك الذكريات وليس من رأى كمن سمع ؟

قلبني فهمي

وكان في عهد الخديوي توفيق مشاعاً شيوعاً تاماً زواج الجواري البيض الذين تركهم ابيه الخديوى اسماعيل عند تركه عرش مصر — بسرايه وسراى والدته لبعض ذوات مصر ، كما كانت تلك العادة متبعة وشائعة فى عهد والده الخديوى اسماعيل ، وكان من حظ الذين يتزوجون بهؤلاء الجوارى ، الالتفات السامى والانعام عليهم بالعطايا والهدايا ، وكان المقرر ان كل جارية تتزوج تقوم السراى بجهازها من ملابس وحلى وينعم عليها بابعادية مساحتها خمسماية فدان تعيش من ريعها ومسكن تسكن فيه وعربة يجرها زوج من الجياد الصافنات ، وزوجها يفضل عن سواه فى وظائف الحكومة فادى ذلك الحال على تقاطر القوم من كل طبقة على الزواج منهن ، وكان الازواج يعدون محاسيب السراي الخصوصيين ، وعلى الاخص الباش اغا الذى كان لهم اكبر عضد وسند بالسراى لتنفيذ كل رغائبهم وجميعهم يقبلون اياديه باطناً وظاهراً ويعدون انفسهم منتمين اليه . وكان هو يتيه دلالا عليهم وكبراً واعجاباً — كل هذه الاحوال السيئة كانت من اسباب تأخر رقى البلاد وتقدمها فقضى على كل هذا وجود الاحتلال الانكليزى

وكان من حسنات الخديوى توفيق انه لا يميل الى الاذى ولم يسعه قط فى اغتصاب مال الغير ، عائشاً عيشة بسيطة جداً بعيداً عن المطامع ولا يعزى اليه امر يؤاخذ عليه سوى عدم كياسته فى المسألة العرابيه

وقد عينت فى عهده مراقباً للاموال الغير مقرره بنظارة المالية ومديراً عاماً للدخوليات فما رأيت منه يوماً ما طمعاً مطلقاً فى اى امر بل كان يمتثل لنظام الحكومة ويحترمه ويسير بمقتضاه كاحد الافراد وكان فى ذلك الوقت رياض باشا رئيساً للنظار وناظراً للمالية والداخلية والمعارف ، وكان كما قلنا رجل ذو شمم عظيم وانفة كبرى ومقدرة عالية اذكر عنه ما يأتى

كان جناب المستشار المالى معدوداً الثاني فى النفوذ والسلطة بعد كرومر ، فدخل يوماً على رياض باشا بنظارة المالية لابساً ملابس بيضاء وحزاماً ابيض ايضاً فقال له رياض باشا ، هل جنابك قادم من الصيد فقال لماذا يا دولة الباشا فقال له لان هـذه الملابس ليست ملابس مصالح بل اظنها مخصوصة للصيد ، ففهم المستشار الغرض وفى الحال عاد لمنزله وغير ملابسه ووضع طربوشاً على رأسه ، وعاد للنظارة ودخل على رياض باشا فضحك رياض باشا فى وجهه وقال هذه هي ملابس النظارة ياجناب المستشار

ودخل يوماً السير غورست عند ما كان مراقباً للاموال المقررة بالمالية على دولة الوزير وعرض عليه بعض اوراق أخذ عنها رأى دولته ، ومن بين هذه الاوراق عرض عليه عريضة وردت له من بلدة بالتظلم عن أمر فقال لدولة الوزير — وردت لي هذه العريضة فكتبت عنها بكذا وكذا ولـكني قبـل أن ارسل الرد ، أردت ان أعرض الامر على مسامعكم ،

اذا كان ما كتبته هو الموافق ، فقال رياض باشا بحدة ، هات العريضة فاخذها ومزقها اربا اربا وقال له لا وجه لتقديم العرايض والشكاوي الا للوزير ، فهل انت عينت وزيراً آخر؟ فسكت غورست مع ما كان عليه من الانفة والكبر ولم ينطق بكلمة ، وبعد ذلك حرر رياض باشا منشوراً بأن العرايض لا تكتب الا للوزير . وكان رياض باشا رجلا عصبي المزاج حاد الطبع ، عالي النفس جداً . شريف المسلك شرفا لا حد له ، رجلا حكوميا بمعنى الكلمة ، قادراً على العمل لا يعرف للملل اسما ولا جسما . مهما كانت عليه صحته من الضعف الشديد ، لا يقتصر على العمل بالديوان بل يشتغل فى منزله كل أوقات الفراغ من الديوان لغاية نصف الليل ، وكان موظفو النظارات التى يرأسها ، وهى عادة المالية والمعارف والداخلية ورئاسة مجلس النظار ، دواماً بأوراقهم بعد الظهر فى سرايه لعرض اللازم منها والاستئذان عن ما يلزم ، وما وجد وزير بمصر خشيه الولاة . سواء : فانه كان لا يخجل من معارضتهم فى كل امر غير نافع للبلاد، مهما جلب ذلك عليه من غضبهم ، وكان رياض غير ميال لانتشار الموظفين الانجليز بمصالح الحكومة ويقول لا بأس من اعطائهم حق الاشراف العام . ولكن لا يصح انتشارهم بالمصالح ، حتى وانه عند ما عرض عليه فخامة اللورد كرومر تعيين المستر اسكوت مستشاراً لنظارة الحقانية غضب غضبا شديداً ، ورفض بتاتا الموافقة على تعيينه فألح اللورد كثيراً فلم يقبل رياض باشا ، وخشي ان اللورد يحاول اخذ قبول عن ذلك من الخديوي فأخبر الخديوي بالامر . وطلب منه ان لا يرتبط مع اللورد كرومر بأي كلمة فى هذا الموضوع بل يحيل الامر عليه . فوعده

الخديوى بذلك ، ولكن بمجرد ان قابل اللورد كرومر الخديوي وطلب منه هذا الامر ، وعده باجابة طلبه (والخديوي توفيق كان معروفاً بالضعف) ففرح كرومر بذلك وعاد فى الحال لنظارة الداخلية ، وقابل فيها رياض باشا وأخبره بما كان، فغضب رياض باشا غضبا شديداً وصرخ بصوت عال جداً وقال هازاً رأسه

الخديوي وعدك ومتى كان ذلك ؟

فقال اللورد — أنا قادم مباشرة من عنده

فقال رياض باشا — هكذا وعود الملوك ، الخديوي وعدني قبل ساعتين بعدم قبول هذا الطلب، وبعد ساعتين وعدك بقبوله — سأقابله واعطي لك قولا فيما بعد

وفى الحال قام رياض باشا وتوجه للسراى، وقال للخديوى ، كنت اظن انك تقدر خدماتي للبلاد التي أنت سيدها ولك مصالح فيها، أكثر مني، ولكنك وقد خلفت وعدك معي ، فاختر من تشاء بدلي، فاني مستقيل وهذه استقالتي، فارتبك الخديوي ارتباكا شديداً ، وطلب من رياض باشا برجاء والحاح أن لا يستقيل بسبب هذه الحادثه لان ذلك يوجب سخط الامة ويهيج الرأي العام ضده

فقال رياض باشا : أقبل على نفسي أن أكون ضحية عملك هذا ؛ حتى ينجيك من المسؤولية أمام الجمهور ، ولكنى مصر على الاستقالة بعد. وترك الخديوى وتوجه للنظارة وفعلا بعد صدور الدكريتو بتعيين اسكوت باربعة أيام استقال رياض باشا والنظار جميعاً كانوا يخشونه ويهابونه جداً

وأعرف من نوادره مع النظار، ان المرحوم فخري باشا ناظر الحقانية وقتها، أصدر منشوراً بناء على تعليمات المستر اسكوت لجميع المحاكم بمبادىء لا تنطبق على رغبة رياض باشا — وبمجرد اطلاعه على المنشور، استحضر ناظر الحقانية وسأله قائلا، هل سعادة ناظر الحقانية كان في غيبوبة حينما أصدر هذا المنشور؟ فاراد فخري باشا الاعتذار والتخلص من تبعة هذا المنشور، فلم يقبل منه رياض باشا وقال له آخر قول في هذا الموضوع، أما سحب هذا المنشور وتغييره بهذه الصورة «وقدم له صورة منشور مجهز بقامه، ضد المنشور السابق على خط مستقيم» واما أن تستقيل وامامك ست ساعات للتروى، فقام فخرى باشا وتوجه لنظارة الحقانية وعرض تفصيلات الامر على السير اسكوت. فكان جواب اسكوت انى أفضل سحب المنشور وتغييره بالصورة التي أمر بها دولة الرئيس على استقالتكم، لانك موضع ثقتى وآمالى فى اصلاح الحقانية، وعلى ذلك تغير المنشور وتم ما اراد رياض باشا واعتذر السير اسكوت لدولة رياض باشا وصرفت هذه المسألة على هذا الوجه

ومن نوادره اللطيفة أن دخل عليه يوما بالديوان بعد الاستئذان المرحوم تجران باشا ناظر الخارجية. وكان بيده عصاه، فاستدعى رياض باشا الحاجب الواقف امام الباب وقال له سعادة الباشا نسى أن يترك عندك عصاه حال دخوله هنا فخذها من سعادته وابقيها عندك وحين خروجه اعطها له، فخجل تجران وسلم العصا للخادم بدون أن ينطق ببنت شفة

ودخلت أنا أيضاً عند دولته لعرض مسألة هامة، وجلست قبل ان

يأذن لي بالجلوس فغضب وقال لي (بحالة غضب لم اعتدها منه) ماذا تريد فادركت الامر وفي الحال وقفت وقلت لدولته — عندي مسأله هامة اريد عرضها على مسامع دولتكم ، فقال ليس عندي وقت الآن ، وبعد برهة من الزمن تذكر اني لم اقصد بجلوسي الحط من كرامته او عدم الاعتناء — انما تلك هفوة غير مقصودة وتذكر ايضاً ان المعاملة التي عاملني بها كانت قاسية وشديدة فطلبني فدخلت عنده فوجدته باشاً مسروراً فقال تفضل اجلس ، ماعندك من الاعمال فعرضت ماكان لدى ، واخيراً طيب خاطرى قائلا ، وانما اذا عاملتك بما عاملتك به فما ذلك الا لانك عندى بمنزلة ولدي فكان هذا الخطاب موجباً للرضاء التام وأنساني بالمرة مافات ، وكان من طبعه الميل الشديد للعدل والمساواه حتى ، لو كان ذلك يؤدى لضرر ذويه بل واولاده ، واضرب مثلا لذلك نادرة واحدة تدل على كثير مثلها من هذا القبيل

كان يدخل ضمن دائرة عملى بنظارة المالية — مراجعة جميع احكام مجالس التأديب بالحكومة وفروعها ، فراجعت حكماً صادراً من مديرية اسيوط ، وكان المدير وقتها المرحوم محمود رياض باشا نجله — فوجدت الحكم كله ظلم ، فقد حكم على أناس بالرفت من خدمة الحكومة بدون حق ولا مستند يبيح هذا الحكم. فلم ترض ذمتي الموافقة على هذا الحكم مراعاة لنجل رياض باشا : فدخلت عليه وقلت له بكل جراءة ما يأتي:

طمعاً في عدلك المشهور ، أتجاسر بان أرفع ضد نجلكم محمود رياض باشا شكوى على تصرفه الغير العادل ، حيث أنه أصدر حكماً ظالماً ضد

موظف، ضعيف لم تسمح له وظيفته بالوقوف أمام رغبة المدير بالدفاع عن نفسه، فحكم عليه بالرفت والحرمان، وأنا أعرف أن دولتكم لا تقبلون وضع اسمكم الشريف على مثل هذا الحكم. فسر جداً رياض باشا من كلامي ومن صراحتي، وكتب بيده خطاباً شديد اللهجة توبيخاً وتعنيفاً لنجله محمود رياض باشا، وأمرني بالغاء هذا الحكم، واعادة النظر فيه، ففعلت بما أمرني به

وانتهزت هذه الفرصة وعرضت على دولته، انه طالما زمام الأمر بين يديكم، لا خوف من ظلم أحد ولكن هل يمكن ضمانة ذلك مع الغير؟ فقال لي باسماً، وماذا تريد أن أفعل؟ فقلت لدولته اذا سمح مولاى فليكن لمجالس التأديب بالفروع، مجالس استئناف لاعادة النظر، وقد يمكن أن تكون مجالس الاستئناف، مجالس النظارات، لأن فى ذلك ضمان عظيم لعدالة الاحكام، فاستحسن كثيراً هذه الفكرة وأمر فعلا بتنفيذها، وكانت هذه الطريقة اكبر ضمان لسير العدالة فى الاحكام — وقلت لدولته أيضاً، ومن هذا القبيل مصلحة تعد نفسها غريبة عن نظام الحكومة وهي مصلحة الدايرة السنية ومستخدميها يقاسون العذاب الأليم، من أحكام مجلس تأديبها الظالم، بسبب استبداد رئيسها فريد باشا المعلوم أمره للجميع. على أن معاشات موظفى هذه المصلحة تدفع من خزينة الحكومة (المالية) فهلا يستصوب دولة الوزير ان يكون استئناف مجلس تأديب الدايرة السنية بمجلس نظارة المالية؟ فقال هذا حق وعدل، ففعل ذلك أيضا

فأدى هذان الامران خدمات جليلة وضماناً لا يقدر للموظفين جميعهم

بالفروع وبالاخص موظفى الدائرة السنية ، الا انهما استوجبا سخط المديرين المستبدين.وعلى الاخص فريد باشا،لان استبداده تقيد بسلاسل من حديد ، لا يمكنه فكها حتى انه حضر لنظارة المالية، وتقابل معي وأراد اقناعي فى الغاء هذا العمل وقال ان ذلك يقلل من نفوذه وسلطته

فقلت له — ولكن عن مكر — أعرض هذا على دولة الوزير، وربما عند ما يفهم أن ذلك فيه تقليل من نفوذك، يعود فيعدل عن هذه الفكرة، فقام بالفعل وعرض الامر على رياض باشا فترتب على ذلك سخط رياض باشا الشديد عليه ووبخه توبيخاً عنيفاً وأمره بأنه اذا كان يتضرر من هذه المباديء فليستقل ، فخرج فريد باشا حزيناً لا يتمنى سوى عفو الوزير عنه ، فتوسط المرحوم محمود باشا دبوسغلي أعني صهر رياض باشا ووالد المرحوم حسين رشدى باشا لدى دولة رياض باشا وطلب العفو منه لفريد باشا ، فعفى عنه مشترطا بأن الاستئناف الذى تقرر للتأديب لابد منه وانه مع ذلك اذا سمع أنه ظلم او جار على أي إنسان فيحا كمه

ومن الذين تولوا نظارة المالية فى عهدي خلاف رياض باشا ، المرحوم عبد الرحمن رشدى باشا ،وهو رجل غزير العلم عظيم الفكر محترم احتراماً كثيراً عند الانجليز وسواهم ،وكان قوياً جداً ومقتدراً عظيما فى فن الحسابات ومسك الدفاتر وكان يتقن جملة لغات اتقاناً تاماً منها الانجليزية والفرنساوية والتليانية ، وكان بعيد النظر ، ثاقب الفكر ، رقيق الجانب ، لطيف المعاشرة ، يقدر كل عامل حق قدره ، وكان له ثقة كبرى بالداعي، حتى انه عرض عليه فى ذات يوم، زميلى جناب السير غورست — وكان

إذ ذاك مراقباً للاموال المقررة — خطاباً مهماً محرراً لاحدى الجهات باللغة العربية ، فقبل التوقيع عليه دعاني وقال لي: ارجوك تلاوة هذا الخطاب واذا كان لك فيه فكر فابده، فقرأت الخطاب ونقحته كما تراءى لي وبعد ذلك وقع عليه ، فاوجب ذلك غضب السير غورست منى فحضر عندى بمكتبي وقال لي غاضباً

لماذا تتدخل فى شغلى ؟

فجاوبته باسماً ، غريب منك هذا القول ، أنا لم اغتصب منك عملا ، فاذا كنت تقصد عدم اطاعتى للوزير فى تنفيذ أمر أمرنى به فيجدر بك أن تسأله هو عن ذلك ، وأخيراً تفاهمنا واصطلحنا

وكان المرحوم عبد الرحمن رشدي باشا محل احترام الانكليز التام ولكن لم يخول له من السلطة اكثر من غيره ، والوزير الوحيد في بابه الذي قام بحق النظارة حائزاً تمام السلطة بدون شريك هو رياض باشا ، كما اسلفنا الايضاح حتى وانه ذات يوم حينما كان المرحوم بطرس باشا ناظراً للمالية دعانى رياض باشا للاستفسار مني عن مسألة نفي البطريرك وكان دولته شديد السخط على من قاموا بهذه الحركة . وكان في اعتقاده ان هذا العمل خطأ فاحش من الحكومة ، ومضاد لقوانينها ، وموجب لارتباك موقع الخديوي في مسؤولية عظمى . لان قانون ونظام الحكومة يقضيان ان كل من تتوجه ضده تهمة ، ولو كان من الفعلة والمشتغلة ونحو ذلك يجب ان يحاكم امام المحاكم بعد تحقيق دقيق ، والحكم الذي تصدره المحكمة فى حقه هو الذي يحترم وينفذ ، على ان السيد البطريرك رئيس

ديني كبير جداً لامة الاقباط ، وله مركز سامي ومعدود في صف بابا رومه فمن تكون درجته كهذه لا يمكن بمجرد توجيه الرغبة لنفيه ان ينفى بأمر اداري، وبدون حكم من محكمة ، ولذلك كان يخشى المرحوم رياض باشا من وخامة هذا العمل اذا قام البطريرك في وجه الحكومة ، خصوصاً وان قنصل عام دولة روسيا تداخل في هذا الامر باعتباره نائب دولة ارثوذكسية ولذلك أراد أن يرجعه من منفاه بموكب حافل وترضية كبرى ، ولما كنت أنا الفرد الوحيد من الاقباط الذي تباعد عن الاشتراك في منفاه، بل كنت بالعكس معارضاً لذلك ومقدراً وخامة العاقبة حق قدرها، وكان المرحوم رياض باشا يعرف ذلك عني جيداً، فدعاني للاستشارة معي في بعض مسائل تختص بهذا الغرض، وأخذ فكري فيما يحسن عمله لاسترضاء جناب البطريرك ، وبعودته ، فقلت لدولته يجب ان الفريق الذي تطلب نفي البطريرك، يقدم التماساً للحكومة برجاء عودته الى كرسيه كما كان، عند وصوله للمحطة ، تصطف لتهنئته فرقة عسكرية، ولذلك تكون في انتظاره عربة من الركائب الخديوية وبعد ذلك تزوره دولتكم بالدار البطريركية لتهنئته، وعند زيارته للجناب الخديوي يقلده بيده الكريمة الجران كوردون العثماني، هذا يامولاي ما أراه واجباً عمله لاسترضاء البطريرك ، تحت استحسان دولتكم ، فاستحسن كل هذا وأمر دولته بالاجراء بمقتضاه

أما وكلاء الوزارات الذين كانوا في عهدي فهم بلوم واللورد ملنر ودوكنس ومتشل انس، والمستشارون بالمر، وغورست ، فبالمر كان رجلا سريع الفهم نشيطاً للغاية ، لا يؤجل عمل اليوم للغد ، وكان في عهده هو

كرومر الثاني في جميع سلطته ، واعمال الحكومة . وكان الكل يخشونه ويسعون بجهدهم لارضائه الا رياض باشا فكان بالعكس، فبالمر هو الذي كان يطلب رضاه ، وكان رجلا على حق ، عادلا حتى لو تقاضى مصري وانجليزي فكان ينحاز لجانب الحق ، ولكنه كان ككل مستشار ممسك للغاية في الميزانية. ومن امثال عدالته انه كان يوجد من الموظفين الانكليز ، الذين يشتغلون ببعض الفروع التابعة لمصلحتي ، شخص يسمى هوكر فهذا الموظف وجد يوماً بالسراي الخديوية في يوم تشريفة وممن انه من الذين يجب ادخالهم التشريفة من موظفي الفروع بعد ادخال موظفي الوزارة الذين هم عموم الفروع ، فقد تجارى بسماجة غريبة ، لاتعرف للحياء ولا للذوق وجهاً

فقال لي وأنا رئيسه : لا يصح انك تدخل قبلي وانا انكليزي ، فقلت له يظهر انك تجهل الصف الذي تدخل فيه واستدعيت المرحوم خيري بك التشريفاتي ، وقلت له هذا الخواجا لايدري اين محله : فأرجوك ان ترشده الى المحل المقرر لوظيفته فقال له خيري بك ، يامستر هوكر هنا ليس محلك تعال معي انا ارشدك الى محلك ، فغضب هوكر وعد كلامي اهانة له وطلب من الحاضرين ان يكونوا شهوداً . فقلت للحاضرين من لم يسمع من حضراتكم كلامي فأعيده اليه حتى تحفظ الشهادة غيباً وبعد أن انقضى زمن التشريفات ، عدنا للنظارة ، فسبقني وقدم شكوى في حق لوكيل المالية وكان اذ ذاك السير غورست ، فدعاني وكنت متهيج الاعصاب جداً مما حصل ، وعقدت النية ألا أتساهل في شيء ولو اقتضى الحال لتركي خدمة

من الحكومة ، فعند دخولي للسير غورست بادرني بالقول ، ماذا يا قليني بك قومت القيامة بالسراي في هذا اليوم على هوكر ، فقلت له ، هذا كذب: من قال لك هذا القول . فقال لي اخبرني به المستر هوكر - وكان بجانبه - فكررت القول قائلا هذا الكلام كذب محض ، فقال نعم نعم: قص على أنت ماجرى ، فقلت له، انا توجهت للتشريفات حسب العادة، وبحسب النظام المعمول لها من قديم ، وتواجدت في المحل المعين لى ، وفي أثناء ذلك، رأيت هوكر آتيا مخترقا الصفوف مسرعا نحوي قائلا لى، لا يصح أن تدخل قبلي ، وانا بعدك مع انى انكليزي ، فقت له يظهر انك تجهل النظام ، ولم تعرف محلك ، وأشرت الى احد رجال التشريفات بأن يرشده لمحله ، هذا كل الذي حصل ، ولم أكن أنا البادي لذلك ولا انا المحرك ، فقال لى مغرضا - والغرض مرض - وهل نسيت يا قليني بك ان مرتبه اكثر من مرتبك ، فضحكت وقلت له: وهل تحاكمني على ذنب انت اقترفته في حقي، كيف يكون مرتب الرئيس اقل من مرتب المرؤوس؟ فقال لى انت في هذا اليوم عصبي المزاج ، لنبق هذه المسألة للنظر فيها ليوم آخر ، فقلت له كل يوم تسألني فيه ترى مني حدة الطبع الذى تراه الآن ، فالاحسن ان تحكم فيها بما تريد اليوم فرفع الامر الى السير بالمرء وقص له المسألة من أولها لآخرها، فغضب السير بالمر غضبا شديداً عند ما سمع القصة ، وقال هذا أمر يوجب الخلل في نظام الاعمال، وقال لهوكر في الحال اما ان تطلب بردون من قليني بك واما تستقيل في هذه الساعة فحضر هوكر لمكتبي وطلب الاذن لمقابلتي فاذنت له فدخل بكل تواضع وطلب مني بردون وهو واقف مكشوف الرأس منحني بكل خضوع

فاستغربت لهذا التغيير الفجائي لأني لم أعلم مافعله السير بالمر فطبعا عندما رأيت ذلك منه ، عاملته بكل لطف ، واجلسته بجانبي ، وطلبت له قهوة حسب عوايد بلادنا ، وانصرف ما كان داخل صدورنا ، وانتهت المسألة

غرضي من هـذه القصة اقامة الدليل والبرهان على عدالة السير بالمر ، وكان يميل جداً للنظام فى الاعمال،ولما كان من طبعي حب الترتيب والنظام انتهزت هـذه الفرصة وعرضت عليه مشروع ميناء للتجارة بمصر تشبه مينا البصل بالاسكندرية وقررت وضعها بجهـة روض الفرج وهي الجهة الكائنة بحرى المدينة، المعروفة الآن بساحل روض الفرج . وكانها مواقع صحية، وخلاء فاجابنى فى طلبي، وكان هذا أول عمل بمدينة المحروسة من هذا القبيل ، وحضر افتتاح هـذه الميناء ، جناب الخديوي واللورد كرومر وسائر القناصل وأعيان المدينة وكبرائها ، وكان عيد عظيم

وعملت مينا أخرى فى جنوبي مصر بجهة أثر النبي — المعروف الآن بساحل أثر النبي، بجميع أصناف العمارات وأدوات الحريق ، وصار افتتاحها باحتفال عظيم مثل الاول

وأما السير غورست فـكان له معي كثير من النوادر ، تارة وهو زميلى ، وأخرى وهو وكيل المالية ، ثم وهو مستشارها ، لـكن الحق يعلو ولا يعلى عليه .فلرجل كان ذكياً جداً،سريع الخاطر،شريف المسلك، عزيز النفس جداً ، ولـكنه كان يراعي مزاجه للغاية . فـكان يميل لركوب وسباق الخيل ولعب التنس وملاصقة الجنس اللطيف — ولا اعلم ما كنه فى هـذا الموضوع ولا نخر — فـكان يمل العمل بسرعة ، وأظن ذلك كان

تابعاً لصحته، ومع ذلك قام بخدمات جليلة لمصر والمصريين والحكومة أيضاً، ومن الخدم العظيمة التى أداها لمصر، انه عندما تعين مستشاراً للمالية، دعانى يوماً اليه، وقال لى أريد ان أفعل شيئاً يرضي أهالى البلاد ويجذبهم لمحبتى، فأنت مصري وخدمت بالاقاليم والمدن، ويمكنك ان تدلني على شيء يرضيهم، فقلت له نعمت الفكرة، اذا أراد سيدي ان يرضي الجمهور ويكسب قلوبهم فلا يكون أحسن من إلغاء ضريبة الدخوليات بجميع الأقاليم ومصر والاسكندرية. وإلغاء عوايد الهويسات، فان تلك الضرائب لا يوجد أثقل منها على النفس، فقال موافق على رأيك وسأفعل ذلك، ولكن الذي يدهشني ان هذه الضرائب هي التى تتكون منها مصالح ادارتك فكيف تتطلب مني الغاءها، مع علمك انك بعد ذلك لا مصالح تبقى لك، هذا سر لا يمكني ان ادركه، فقال لى السبب — فقلت له باسماً — سيدى أنا من أهل البلاد وبنيها، وهذا الخير الذي تريد ان تفعله بالبلاد يعمني ويعم عشيرتى الى الابد، ولكن الوظيفة تقليد، جائز تبقى لى اليوم وتزول عني باكر، على ان كل محب لوطنه يجب عليه تضحية نفسه لصالح بلده، فأريد أن أقلد افاضل القوم مرة فى حياتي، فسر جداً من كلامي وهنأني وفعلا تم هذا العمل بكل سرعة، فاجتذب محبة عموم أهالى القطر

وله اعمال جليلة يقصر قلمي عن حصرها — وسأذكر منها شيئاً عند كلامي عنه لما كان معتمداً سياسياً خلفاً للمرحوم اللورد كرومر

واما الوكلاء فمنهم بلوم باشا — وهو اسرائيلي نمساوي، رجل يندر مثاله في النشاط والهمة ميالا لفعل المعروف والخير مع الناس، محبوباً عند

جميع مستخدمي النظارة ، وخدم زمناً طويلا نال فيه صيتاً كبيراً وشهرة عالية وذكراً جميلا سواء أكان عند الانكليز أو عند المصريين ، وكان فى عهده موظف يسمى اسمعلوم بك رجل غريب فى بابه وكانت وظيفته مفتشاً بالمالية ولكن كان له نفوذ لا يقل عن نفوذ وكيل المالية ، فلما تعينت حديثاً بنظارة المالية وكان ذلك فى عهد وكالة بلوم باشا فبينما انا جالس بمكتبي وقائم بعملي مع بعض الموظفين التابعين لادارتى ، واذا بجاويش دخل وقال للموظف الذي كان يشتغل معي : تفضل البك يدعوك فوضع اوراقه على مكتبي وهم بالخروج طوعاً لاشارة هذا الجاويش . فاستغربت جداً ودعوت هذا الموظف ، وقلت له الى اين انت ذاهب فقال البك يطلبنى فقلت له أي بك فقال اسمعلوم بك فقلت هل انت موظف طرف اسمعلوم بك اوهل اسمعلوم بك شريك لنا في ادارتنا ؟ فقال لا ، فقلت لا تذهب هذا اليوم ولا فى أي يوم يطلبك وإذا علمت انك توجهت مرة ماعنده فلا بد من رفتك ودعوت أيضاً الجاويش الذي كان حضر لهذا الغرض وفهمته بانه اذا حضر يوماً آخر وطلب أي موظف من التابعين لمصلحتي فلا بد من السعي فى طرده

وبعد ذلك توجهت لمقابلة بلوم باشا وأنا بالطبع منفعل من هذه الاجراءات وقلت له نظام المصلحة نظام فوضى : وأنا لا اقبل ذلك مادام معني واحد خارج عن مصلحتي يتصرف فى موظفي ادارتي بدون اذنى ،

فقال لى لاتغضب ، واني اعدك بان هذا الامر لا يتكرر ، واحضر فى الحال اسمعلوم بك وقال له يظهر انك تجهل طباع قليني بك فأرجوك ان لاتتداخل مطلقاً فى مصلحته ولا موظفيه ، واحذر كل الحذر انه اذا تكرر منك ذلك فيعرض الامر على رياض باشا ووقتئذ لايمكن احدمنا ينجيك ، نخاف اسمعلوم كل الخوف واجتهد فى ارضائي وكف عن تصرفه هذا والوكيل الذي اعقب بلوم باشا هو العالم الكبير والمحرر الشهير صاحب العقل الواسع والفكر الثاقب جناب اللورد ملنر الذى عين واليا على الترنسفال وكان رجلا رقيق الاخلاق لطيف المعاشرة عالي الهمة ، كبير النفس مع تواضع فيه كل الصفات الحسنة ولم اعرف له سيئة واحدة على عكسه متشل أنس الذى كان وكيلا للمالية بعده فان صفاته كلها سيئات لم اعرف له حسنة واحدة ، بليد الفهم ، ميالا للاذى والشر ، لايفي بوعده مرة واحدة ، كذوباً فى جميع اقواله ، يسر ويرقص طرباً كلما تيسر له اذى بنى الانسان ، ويحزن حزناً شديداً إذا بدا على يديه عمل خير ، قل ان يوجد مؤذ شرير نظيره لا بين الانجليز ولا المصريين سوى واحد فقط وهو فريد باشا الذى كان ناظراً للدائرة السنية فأن أخلاقه كانت تقريباً مثل أخلاق متشل أنس تماماً ، وأما المستر دوكنس الذى كان وكيلا للمالية بعد المستر متشل أنس فكان رجلا طيب القلب ، فى أخلاقه شيء من أخلاق الدراويش ، بعيداً عن الاذى ، كريم العنصر أديباً فى كلامه وأفعاله ،

وقبل أن اختم الكلام عن المالية ورجالها لا أريد ان انسى نفسي فسأتكلم شيئا اجماليا عن مصلحتي التي توليتها وما جرى فيها . وارجو من القارىء ان يعتقد في صحة كلامي لأني أقسمت اني لا أكتب في مذكراتي الا حقائق شاهدتها بعيني وفعلتها بنفسي مجرداً عن كل غاية وغرض حتى ولو كانت عن شخصي

فالمصالح التي كانت تحت ادارتي وكنت عليها مديراً عاما ، ومراقبا عموميا هي مصالح دخوليات مدن مصر واسكندريه وبورسعيد والاسماعيلية والسويس ودمنهور والمنصورة وطنطا والزقازيق والمحلة الكبرى وبنها والجيزة والفيوم وبني سويف والمنيا واسيوط وسائر المدن الرئيسية ، ومصالح الاسماك بعموم القطر المصري سواء كانت بالمياه الحلوة أو المالحة والملاحة بالنيل للوابورات والذهبيات وسائر المراكب بانواعها . ومصالح الملح والنطرون والضربخانة ، وكافة ما يتعلق بدمغة المصوغات الذهبية والفضية . وكل انواع الدمغة ونحوه . وكانت تدخل ضمن ادارتي ايضاً الادارة العربية بنظارة المالية . وكان يشملها النظر في جميع احكام مجالس التأديب لمصالح الحكومة اجمع وطلب الرتب والنياشين لمستخدمي المالية وفروعها. وكل أعمال المحمل الشريف بما في ذلك تحضير الكسوة وارسال الهدايا من غلال ونحو ذلك لمكة المكرمة . هذه هي المصالح بطريق الاجمال التي كنت أرأسها ، وفوق ذلك كنت رئيساً لمجلس تأديب الدخوليات وعضواً بمجلس تأديب نظارة المالية . وعضواً باللجنة المستديمة لتعيين المستخدمين بسائر مصالح الحكومة . وعضواً بلجنة تنقيح قوانين

المحاكم مندوبا من قبل المالية — فبحمد الله تعالى قمت بسائر ما كلفت به أحسن قيام بشهادة رؤسائي، وهم بالمر، وملنر، وغورست، واللورد كرومر، وزادت الايرادات فى عهدي نحو ١٠٣٣٤،٣٢٠ جنيهاً أي بواقع ٥٠ ٪ عن ايرادات الادارة السابقة التي كانت فى عهد المسيو مازوك . فاوجب ذلك حقده على حقداً شديداً ، ومن سوء حظي صادف حقده آخرين أكثر منه حقداً، وهم متشل انس واسمعلوم وهوكر ، الذى كان يطمع فى أن يتولى مصلحتي لانه انكليزي ليس الا . واسمعلوم بك لانى قفلت فى وجهه ابواب المنافع التي كان يستفيدها من مصلحتي ، فبينما كنت اتقلب على احر من الجمر من دسائس وهؤلاء، كل منهم ذو نفوذ كنت اسمع اقوال البعيدين عني اني بصفتي ملك مستقل ادير حركة مملكة لاشريك لى فيها . ويحسدونى على ذلك ومن الجهة الثانية كان على واجب مصلحتي الذي كان يستغرق كل وقتى فى العمل والفكر والملاحظة حتى لا تقف حركة دولاب اشغالى، ظللت زمناً وانا أعارك بين جميع هذه العوامل حتى فضح امر حسادي وانكشف وانتصرت عليهم جميعاً ، وخرجت ظافراً وكلهم اصبحوا اذلاء محتقرين امامي ، فشكرت الحق تعالى الذي نصر الحق ، وانى ألا أخش لومة لائم بالقول اني خدمت الفلاح المسكين والتاجر الصغير خدمات لا تعد ولا تحصى وسعيت في رفع جملة عوائد كانت تؤخذ من الفقراء والمساكين فالغيت عوائد الجنائن التى تتبع المنازل وعوائد المراكب والهويسات ، والغيت العوائد التى كانت تؤخذ على قرافة الامام الشافعي، ونزلت كثيراً من عوائد دمغة المصوغات ، ورحمت ممولى الدخوليات من بهدلة بضائعهم

وأ كتفيت بأخذ العوائد على الوزن بدون تفريغ ، ولا عد بضائعهم منعاً للبهدلة ، والغيت كي المواشي بالنار لان ذلك كان عذاباً اليماً للحيوان . ورفعت شأن المستخدمين وجعلتهم جميعاً من ارباب الضبطية القضائية وحليت صدور المجتهدين منهم بالنياشين وجعلتهم بدرجة مستخدمي المالية والداخلية مما حسدني عليه كثيرون — وسعيت في انشاء كوبري الجيزة منعاً للزحام الحاصل بكوبري قصر النيل ، وتم ذلك فعلا ، وأنشأت ميناءين عظيمتين للتجارة بمصر كما سلف القول وبذلك تطهرت المدينة من الحرائق ، وخصصت مواقف مخصوصة للمراكب حفظاً لماء النيل من الوساخة حتى لا تتفشى الامراض بالقطر ، وعملت اعمالا كثيرة أوجبت فخر رؤسائي ، فلا عيب على اذا ذكرتها ، وكلها مدونة بسجلات الحكومة الرسمية ، وختمت اعمالي بالحكومة بان عرضت الغاء مصالح الدخوليات للتخفيف من على عاتق المسكين فلغيت حسب طلبي ، وكانت نتيجة ذلك اخلائي من مصالح الحكومة ، واني مسرور جداً لهذه التضحية لانها من بعض واجبات المرء نحو وطنه اذا كان عنده ذرة من محبة الوطن ، ومحبة الوطن كما تقول العامة من الايمان

وفي عهد الخديوي توفيق توفي من كبار الرجال . شريف باشا وسلطان باشا وعلى مبارك باشا ، فشريف باشا سبق ان ذكرته ضمن الثلاثة المعروفين وهم نوبار وشريف ورياض ، وقلت عنه انه من اعظم القوم شرفاً ومحبة للوطن عالى النفس جداً ، وربما كان هو ورياض باشا الفردين الذين لم يهابا اسماعيل دون جميع القوم ، واما المرحوم سلطان باشا فيجب ان اشرح

شرحا وافياً عنه لاني اعرف الناس به

فالرجل من اصل مصري محض وربما كان في جدوده نسب من العرب وانه كان من عهد نشأته ذكياً ذكاء مفرطاً على انه لم يتعلم بالمدارس ولكنه كان فصيحاً جداً واتقن اللغة العربية على كبر حق الاتقان، سمح الوجه طلق المحيا، مفطوراً على حب الخير، كثير الحسنات للفقراء صاحب همم عالية لا يخيب من يقصده، وكان بالطبع فى اول نشأته كمثل سائر اولاد العمد والاعيان وكان اول منصب يتولونه اما العمودية ببلادهم أو المشيخة، وكان بينه وبين المرحوم الشريعي باشا صداقة تامة، والشريعي وقتها كان ناظر قسم قلوصنا اعنى مأمور مركز قلوصنا ومن المقبولين لدى الخديوى سعيد — فطلب الخديوي يوماً ما من الشريعي ان يرشده على احد اعيان البلاد اللائقين ليعينه ناظر قسم — فعرض لجنابه الرفيع اسم المرحوم سلطان باشا ووقتها كان الحاج محمد ابو سلطان عمدة لزاوية الاموات، فطلبه الخديوي وكلمه فسر من اجوبته سروراً عظيما، وقال له هل يمكنك ان تضيفني ومعسكرى ببلدك؟ قال نعم يا افندينا، وهذا غاية شرفنا، فقال له بعد ثلاثة ايام انا حاضر بطرفك، وفعلا توجه الخديوي بمعيته ومعسكره، فنصب لهم ابو سلطان الصيوانات — السرادقات — ومد الموائد على الطقس العربى، فأكلوا هنيئاً وشربوا مريئاً، وبعد ذلك قال له الخديوي — مع سرورى التام من كرمك، لا أخفى عليك ان دارك الذى تسكنه لا يليق بضيافة الملوك. وانا قائم الى السودان وتستغرق سياحتى خمسة اشهر. فعند عودتى ساعرج عندك، وأنزل فى منزل غير هذا يليق باستقبال

الملوك ، فقال له سلطان باشا : نعم يا أفندينا سيكون ذلك ، ويكون في هذا الامر اكبر فخر لي ، وبعد سفر الخديوي ، قام سلطان باشا حالا وتوجه لمصر واجتمع بالمرحوم الشيخ على الليثي ، الذى كان بينه وبين سلطان باشا صداقة ، وطلب منه ان يرشده الى مهندس قدير ، كي يرسم له قصراً يريد انشاءه ويكون لائقاً بالجناب الخديوى ، فارشده الى مارغب وقام المهندس صحبة سلطان باشا الى زاوية الاموات ، ورسم له قصراً جميلا في وسط حديقة مساحتها عشرة أفدنه وشرع بهمة لا تعرف الكلال في بناء القصر وتنظيم الحديقة ، واستحضر له مفروشات فخرة . حتى عند عودة الخديوى كان كل شيء على استعداد ، فاندهش الخديوي من هذا العمل وزاد اعجابه وسروره من هذا الشهم الهمام وامر في الحال بتعيينه ناظراً لقسم قلوصنا محل الشريعى باشا ، ورقى شريعي باشا الى وظيفة وكيل مديرية بني سويف

هذا كان مبدأ حسن لطالع المرحوم سلطان باشا ، وقد اظهر مهارة تامة في وظيفته ، وغيرة عظيمة لمصالح الاهالى والدفاع عنها ، حتى انه كانت في ذلك الوقت معظم اطيان الاهالي وثروتهم وممتلكاتهم ، مرهونه في ايدى الاروام ، بسبب الربا الفاحش الذى كسر ظهورهم ، فاجتهد المرحوم سلطان باشا ، بان خلص اطيان مركزه من ايدي ارباب الربا وردها لاربابها ، ومن نوادره اللطيفة ، ان احد الاروام المدعو الخواجا بسيلي كان له مودة وصحبة شديدة مع المدير وقتها ، وكان اسمه حسن باشا ابو نيشانين . وبواسطة هذه المحبة كانت تصدر الاوامر المشددة من المدير لمأمور المركز بان يساعده في خلاص اقساطه من الاهالى ، ومن يتأخر منهم تسلم ارضه للخواجه رهناً

وقل ملكاً اذا اردت ، فحصل في عهد المرحوم سلطان باشا صدور مثل هذه الاوامر له ، فما كان منه الا ان كتب للعمد والاعيان وكل من عليه دين للخواجا ، ان ينفذ امر المديرية في سداد الدين حالا وبدون تراخي ، وبعد الكتابة بهذا المعنى استحضرهم جميعاً ، وعقد منهم جمعية ، واصدر لهم امرا شفاهياً ، بأن ما كتب لهم هو تسديد ثمرة ، وامرهم بان لا يسدد احد منهم ولو قرشاً للخواجا ، ومن يدفع قرشاً يحاكم ، ففرح المدينونون ووقفوا في وجه الخواجا — وظل الخواجا يشكو والمدير يكتب وابو سلطان يبلغ ويشدد في التسديد ، كل هذا بأمر رسمي ، وبأوامر غير رسمية يأمرهم بعدم الدفع الى ان اضمحل حال الخواجا بسيلي جداً ، فوقع في جاه وعرض ابو سلطان ، فقال له ، الاهالي فقراء وانتم سبب فقرهم واصبحوا مجردين فمن اين يدفعوا ربا كم ؟ اذا اردت ان اساعدك فيوجد حل واحد وهو ترك جميع الفوائد من أولها الى آخرها ، وحصر ما دفع نقدية منك للاهالي مجرداً من كل فائدة ، ويقسط ذلك على عشرة سنوات ، يستثنى منها السنين التي يهيف فيها الزرع ، فاذا وافقت على ذلك بكتابة يمكني اساعدك ، وبخلاف ذلك ليس في وسعي عمل آخر ، فقبل الخواجا بغاية الممنونية هذه التسوية ، لانه كان قاطع الامل من الكل ، وعلى ذلك ردت جميع الاطيان لاصحابها ، وتقسط الدين بالكيفية السابقة الذكر ، ووفيت الاقساط من المحصولات ، ففرحت الاهالي فرحاً عظيماً ، واصبح مركز قلوصنا اغنى مراكز جميع المديريات بواسطة هذه العملية ، وترقى بعد ذلك ابو سلطان الى وكالة مديرية بني سويف ، ثم مديراً لروضة البحرين (اعنى مديريتي

االغربية والمنوفية مضافتين لبعضهما) واظهر كفاءة عظيمة جداً ، واخيراً تعين فى عهد الخديوي اسماعيل ، حاكماً عاماً للصعيد ، وصعد نجمه صعوداً هائلا اذ ذاك ، وقام بأعمال عظيمة يكل القلم عن حصرها لمصلحة الاهالي والبلاد ، وكان حاكما رؤوفاً عادلا ، ولكنه كان حادا عنيداً مع فاسدي الاخلاق وقطاع الطرق ، لا يرحمهم مطلقاً ، واعرف له جملة نوادر عظيمة منها ان الخديوي اسماعيل لما ضرب على الاهالى ضريبة المقابلة قال الخديوي لسلطان باشا ان هذه الضريبة هي فى مصلحة الاهالى لانها تخفف عليهم فيما بعد ضريبة المال . فقال له المرحوم سلطان باشا ، في عرفي انا يا افندينا ان هذه الضريبة ستكون القاضية على الاهالى فغضب الخديوى غضبا شديداً وامر بنفيه للسودان . فتوسط المرحوم اسماعيل باشا المفتش بالعفو عنه وقال لابو سلطان أتريد اقامة الدين فى مالطة ؟ كلما هنالك ستضر بحياتك . فقال ابو سلطان لو كانت حياتي تقدم ضحية وتعود بفائدة على الامة اقدمها واكون الفائز . واخيراً عفى الخديوى عنه وكلفه بتحصيل تلك الضريبة بنفسه

ومن اعماله العظيمة اني سألته ذات يوم وكنت وقتها مستخدماً معه بوظيفة معاون بالدايرة السنية قائلا متى يرحم الفلاح من السخرة القاسية هذه والكرباج ؟ فقال وهل انت تحب ان يعفى الفلاح من ذلك ؟ فقلت له بسرعة . هذا عمل وحشي وكل انسان فى قلبه شيء من الرحمة ضبعاً يود ذلك من صميم فؤاده . ففرح جداً لسماعه هذه العبارة مني واظهر سروراً عظيما وزادت محبتى فى قلبه ، ولكنه لم يعطني جواباً عن سؤالي ، بل ظل يحادثني فى أمور أخرى ، وغض النظر عن اجابتى

مضت الايام وتغيرت الاحوال ، وطلبت دول أوروبا تشكيل نظارة مختلطة ، وتقييد اعمال الحكومة بهذه النظارة المسؤولة ، وحينذاك دعاني المرحوم سلطان باشا وقال لي ، قد آن الاوان الذي تحقق فيه بغيتك من الغاء السخرة وابطال الكرباج ، تعال معي نقابل نوبار باشا رئيس النظاره فتوجهنا سوياً وعرض الباشا قيمة الضرر العائد من السخرة وانه فى الامكان عمل كل شيء بواسطة المقاولات ودفع الاجرة ، ففرح نوبار باشا من هذا الاقتراح ، وقال له ارجوك ان تبلغ اقتراحك هذا ايضاً الى السير ريفرس ولسن ناظر المالية ، فتوجهنا لناظر المالية الذي عرض الامر على مجلس النظار وقرره في الحال

ثم عرض على نوبار باشا اشياء اخرى كثيرة منها ابطال الكرباج ومنها الغاء العوائد الشخصية ، والحملة ، وعوائد اخرى كثيرة ضربت على الاهالي ظلماً وعدواناً ، فقال له نوبار باشا أنا موافق على الغاء كل ذلك ، ولكني أريد منك أن تعرض هذا على السير ريفرس ولسن ناظر المالية لان ذلك من اختصاصاته . فتوجهنا فى الحال لجناب السير ريفرس ولسن وكنت انا ترجماناً لحان المرحوم سلطان باشا ، فيعرض كل ذلك عليه أوعد بقبوله ، ومما ساعد على ذلك حسن الاعتقاد والظن فى اقوال واعمال المرحوم سلطان باشا عند الاورباويين ، وعند نوبار باشا ، فتم كل ماتمنيناه ، وكان ذلك يوم سرور عظيم على الامة المصرية ، وعلى المرحوم سلطان باشا والداعي

وكان المرحوم سلطان باشا يتصدق على الفقراء كثيراً ، فكانت فى بلدته زاوية الاموات مضيفة عملها للفقراء ، مفتوحة الابواب لكل من

أراد أن يأكل او يشرب ، ومثلها بالمنيا ، ومثلها بمصر ، هذا خلاف مرتبات سنوية تقدم للجامع الازهر الشريف ، ومثلها ترسل لمكة المكرمة وهذا وهذا خلاف مرتبات شهرية لعائلات عظيمة اخنى عليها الدهر ، وهذه الصفات العالية والاخلاق الكريمة ، لم تتعد شخصه . فانه من عائلة عددها كبير جداً ، ولكن كان هو زهرتها الوحيدة . لا ثانى له فيها ، واذكر انه لما مرض المرض الاخير ، أشارت عليه الاطباء بالسفر الى اوروبا فسافر وكان اذ ذاك رئيس مجلس شورى القوانين ، فأخذ معه معية تليق بقدره ، حيث كان في معيته شيخ من الازهر . عظيم القدر اسمه الشيخ قراعه (وهو الذي كان اخيراً مفتياً للديار المصرية) ومملوك اسمه على ، وترجمان اسمه موسى بك شكرى ، فاشتد المرض عليه بأوربا ، فبحث عني فى كل الجهات التى كان يعرف انى معتاد التوجه اليها . الى ان عرف اني موجود بجنيف ، فأرسل لى تلغرافاً يقول فيه ان المرض اشتد عليه وانه يريد ان نكون سوية بجاوبته تلغرافياً اني حاضر بطرفه ، فرد على انه يود المجيء عندي بجنيف ويرجوني انتظاره ، فانتظرته حسب الامر الى ان حضر ، فلما رأيته حزنت حزناً شديداً . لاني وجدته خيالا ليس الا ، وحالته لا تستوجب الاطمئنان مطلقاً فقبلت يده وسألته عن صحته ، فقال كما ترى ، وركبنا سوية وتوجهنا الى اللوكاندة ، وأول عمل عملته دعوت كل الاطباء المشهورين فى كاية جنيف ، وعملت كونصلتو ، وطبعاً كان الكلام بالفرنساوي ، والمرحوم يجهل هذه اللغة ، فقالوا ان الباشا عنده مرضان ، وقد انتهت مع الاسف ايامه ، ولم يبق له سوى ايام معدودة ، فيحسن اناث تنصحه بالسفر

لبلاده حتى يقضي ايام حياته الاخيرة بين عائلته ، فكنت اسمع هذه الالفاظ واشعر انها صواعق تمطر على رأسي ، ووجهي رغماً عن انفي يتغير من لون الى لون ، ففهم المرحوم سلطان باشا من غير ما اكلمه بشيء ما ، ان حالته تنذر بالخطر ولكنه لم يعامني ، وبعد انصراف الحكماء سألني عما قالوه ، فقلت له وانا رابط الجأش ، انهم قالوا ان الاطباء المصريين مخطئون ، لانهم اشاروا على سعادتك بحضوركم لاوربا لان هواء البلاد التي هي مسقط الرأس ، أحسن لهذا المرض فى العلاج من كل علاج ، وقالوا حتى لا يتمكن المرض زيادة يجب التعجيل بالسفر حالا لمصر ، فضحك ضحكة المستهزيء وقال لى وهل نغش انفسنا حتى فى الموت ؟ فقلت له وحلفت له ايماناً غليظة ان لاشيء من هذا مطلقاً ، انما احوال الجو هنا متغيرة فى كل دقيقة وكل ساعة ولا توافق مزاج رجل مضى حياته فى طقس منتظم وقت الحر حر ووقت البرد برد ، وتقلبات الجو هنا هي أكثر من كل ضرر عليك ، فدخل فى عقله كلامي هذا واعتقد ان كلامى حق ، وقال طيب وهل انت تحب مرافقتى اذا عزمت على العودة لمصر ؟ فقلت نعم هـذا لا يحتاج الى سؤال فقال قد حققت أملى فيك وزيادة ، وعلى ذلك قررنا السفر فى اليوم الثاني وقمنا بالفعل متنقلين من بلدة لاخرى على قدر ما كانت تسمح قوة الباشا للسفر الى ان وصلنا بلدة جراتز ، وكانت تبعد عن تريستا خمسة ساعات ، فمضينا تلك الليلة فى لوكاندة اسمها (الفينت اوتل) وقد لاحظت على الباشا فى تلك الليلة انشراحاً لم اتعوده فيه من أول مرضه ، فسررت جداً وقلت ربما ان الله سبحانه وتعالى اخلف ظن الحكماء ، على ان سروري

وفرحي لم يدوما كثيراً ، لان المرحوم قضى آخر نفس فى حياته فى فجر تلك الليلة ، ولا تسأل عما دخل عليّ من الغم ، خصوصاً واني لم أرَ فى حياتى من مات امامي الا فى هذه الدفعة ، ظللت برهة وانا في حالة غيبوبة لا ادري شيئاً ، واخيراً تيقظت وتذكرت ان عليّ واجباً عظيما نحو فقيد الوطن ، وصديقى الحميم ، يجب عليّ القيام به ، فاول ما فعلته ان دعوت أحسن الاطباء مهارة ، وطلبت تصبير الجثة حتى انقلها لمصر . ثم كتبت عنه بالجرائد الاوروبية ما كان جديراً به ووفيته حقه ، وبعد ذلك ابرقت للخديوى توفيق ان المرحوم سلطان باشا توفى لرحمة مولاه ، واننا حاضرون بالجثة بعد ان صار تحنيطها ، كتبت هذا وكنت اخشى كثيراً ان عوامل الحسد الشديد التى كانت فى قلوب الجراكسة والاتراك ضده ، ربما تمنع اخذه لمصر لانهم كانوا يبغضونه جداً ، ولا ذنب له سوى كونه على قولهم فلاح ، ولكن منزلة المرحوم سلطان باشا كانت فوق كل ذلك — ثم حررنا تلغرافاً آخر للمرحوم نوبار باشا من هذا القبيل عينه ، فورد لي تلغراف من الجناب الخديوى يشكرنى فيه على العناية التى بذلتها نحو الفقيد . ويأمرني بان اقوم بالجثة مرافقاً لها الى مصر — وورد لى تلغراف من المرحوم نوبار باشا مثله ويقول ، انه فى هذه الظروف لربما يكون لازماً لى نقدية لاتمام المأمورية وعلى ذلك انه امر بلوم باشا وكيل المالية ، وكان وقتها مقيما بالاجازة فى فينا ، ان يحضر لطرفي ويكون تحت امرى فى كل ما يلزم لى من النقود ، فشكرت دولته على هذا الالتفات العظيم والعناية الكبرى ، وفعلا حضر عندي بلوم باشا وطلبت ثلثمائة جنيه لانه كان معي مبلغ آخر يكفى مع هذا ،

وتركت مصيفي باوروبا ، وتركت الحمامات التي كنت قد قررتها لصحتي ، وتركت كل علاج وقمت بكل سرور لأؤدي واجبي الاخير نحو البطل العظيم ، نعم لأن هذا الرجل الجدير بمحبة الوطن وبنيه ، مهما فعلت من الخدم لا يمكنك ان تؤدى له ذرة مما كان يفعله للوطن ، وفوق ذلك محبتي الشخصية لاني كنت اعتبره بصفة الوالد لى

اقول هـذا بعد وفاته لست منتظراً عن ذلك اجراً ولا شكراً انما واجب الذمة يقضي على الاعتراف بالجميل

قمت لمصر وكلما تخيلت المرحوم امام نظري ، كان يشتد حزني ويفيض دموع عيني رغم انفي ، حتى وصلنا الى ميناء الاسكندرية حيث كانت الحكومة بأمر الخديوي ونوبار باشا ، قد أعدت مشهداً فخماً لائقاً بقدره لم يسبق له نظير — وبين هذا المشهد كانت موجودة أفراد عائلة الفقيد من كبير وصغير وبعيد وقريب ، ولكن هل أحد من هؤلاء القوم تقدم نحوي وسألني عما جرى أو اهتم بالسؤال كيف كانت أيام المرحوم الاخيرة وأقواله ؟ لا .. لا .. لا شيء من ذلك قط ـ نعم إني عملت ما عملته كما سبق الايضاح ، لما عليّ للمرحوم من الواجب ، رحمة الله عليه رحمة واسعة الى أبد الآبدين

وهنا أكتفي بما قلته عن المرحوم سلطان باشا ، مع العلم بأني لم أوفه حقه تماما

وأما علي مبارك باشا ، فانه كان عالماً من فحول العلماء منكباً دائماً وأبداً على التأليف النافع للبلاد ، وكتب كثيراً من الكتب النافعة المفيدة ،

وكان ميالا لرقي المدارس وتقدمها ، ومصلحاً كبيراً لنظامها ورقيها ، كما أنه كان أكبر مصلح للري ونظامه ، حينما تقلد نظارة الاشغال العمومية — فالرجل كانت كل حياته موقوفة للجد في العمل النافع بالعلوم والمعارف وأظن أن أرض مصر لم توجد عالماً خدم العلم أكثر منه ومن المرحوم رفاعه بك العالم الشهير الذي شهرته تغنى عن كل بيان وتحرير

وفي عهد الخديوى توفيق حدث ان قد حصل تحاريق بالنيل لم يسبق له مثيل في احدى السنين فكتبت وزارة الاشغال للدايرة السنية تعلنها انه غير متيسر نظراً الى ما وصلت اليه حالة النيل من الانخفاض أن تزرع الدايرة السنية صيفي سواء كان قطناً أو قصباً فى ذاك العام ، فقامت وقعدت الدائرة السنية لهذا الخبر ، وكررت الالحاح على وزارة الاشغال لبحث طريقة تسمح بزراعة الصيفي ، حيث بدون ذلك تكون الدايرة سائرة فى طريق الافلاس ، بعد أخذ ورد طويلين قررت نظارة الاشغال أن تسمح للدايرة السنية بزروع الصيفي بالشروط الآتية:

(١) بما أن المياه فى هذا العام ستعطى بالميزان لسبب قلتها ، فيجب الحرص عليها ، والمحافظة على استعمالها في الغرض المقصود ، حتى يتيسر الوصول لنتيجة مرضية

(٢) يجب أن يختار من الدايرة السنية موظف ذو نفوذ ونشاط ويقظة ليكون ملازماً لمفتش الري فى توزيع المياه ومراقبة استخدامها كارشادات المفتش (وكان المفتش اذ ذاك رجلا عالما عظيما من علماء هندسة الري وهو المستر براون ، الذي كان وكيلا له زمناً طويلا فى تفتيش

الري معالى اسماعيل سرى باشا) فقبلت الدائرة هذه الشروط ، واختارت الداعي وكلفتني بهذه المأمورية وكتبت لى جوابا رسمياً من مجلس الدائرة ، يلقي فيه تبعة هذا الامر المهم على،وبعدان استلمت الخطاب المذكور دعاني ناظر الدائرة السنية وهو المرحوم فريد باشا وقال لى ، انك وان كنت استلمت خطاباً من المجلس يلقي على عهدتك تنفيذ امر مفتش الرى ، الا اني بطريقة خصوصية احب ان لاتنفذ له امراً ، وان تعاكسه فى كل أعماله ، فاندهشت اندهاشا كليا ، وقلت له كيف ذلك ياباشا تلقي على عهدتي مأمورية بخطاب رسمي ، وتريد ان افعل ما يوقعنى فى المسؤولية ، الامر الذي لا يتفق مع شرفى بكلام غير رسمى يحسن اذا كان غرضك هكذا ان تنتخب آخراً بدلا عنى نخاف ودخلت عليه الوساوس كثيراً خشية ان انقل كلامه للمجلس واخيراً قال لا يصلح خلافك لهذا الامر المهم ، وكلامي هذا كان على سبيل الامتحان

واخيراً قمت وتوجهت للمأموريةولازمت المفتش ليلا ونهاراً وقمت بجميع ماطلب مني تنفيذه ، وكنت لا انام الليل ولا ارتاح النهارحتى نحصل على النتيجة المرغوبة ، وكنت قاسيا جداً على المستخدمين الذين يهملون تنفيذ التعليمات ، فكانت نتيجة اعمالنا نجاح لا يقدر ، فاق كثيراً فى نتائجه السنين التى سبقت وكانت المياه فيها فيضاناً عظيما ، مما اوجب سرور وزارة الاشغال سروراً عظيما ، وعلى الاخص المستر براون مفتش الرى الذى كتب لوزارة الاشغال خطابا يقول فيه ان النتائج الباهرة التى تحصلنا عليها فى نجاح زراعة الدايرة السنية فى هذا العام بعد ان كان مقرراً عدم زراعتها

لشدة انخفاض النيل . انما يعود الفضل فيها الى (قليني بك) الذي سهر بيقظة تامة على تنفيذ ارشادات الهندسة بالدقة التامة بدون ان يعطي لنفسه راحة مما يستوجب تهنئته عليها ، ولا اخفى على الوزارة ان تعليماتى هذه سبق ان اعطيتها لعمال الدائره السنية فى السنين الماضيـة وكانت سنين فيضانات عظيمة ، ونظراً لعدم قيامهم بتنفيذها لم تأت مزروعات الدائرة السنية بفائدة تذكر بجانب فوائدهذا العام ، وذلك كله بفضل ومجهودات ويقظة قليني بك

وعلى اثر هذا الخطاب . حررت نظارة الاشغال خطابين احدهما (للداعى) تهنئني فيه وتشكرني عما قمت به من الاعمال الباهرة فى سنةمثل هذه السنة ، التى اتت بفوائد لا تقدر والثانى لمجلس الدائرة السنية ، كله ثناء عاطر على قليني بك ذاكرة فيه المجهودات العظيمة التي قام بها . وكان من نتائجها حصول الدايرة على نتيجة فوق ما كان ينتظر

فغضب لذلك ناظر الدايرة السنية غضباً شديداً على انى كنت انتظر ، وانا الممثل له فى هذه الاعمال ، ان يبتهج قلبه فرحاً وسروراً عندما يسمع الثناء على موظف كان يمثله ، ولكن للاسف ترجم الامر بخلاف ذلك ، وقال ان قليني بك يسعى للاتحاد والارتباط برجال الانجليز لغرض واحد ، وهو استقاطي من وظيفتي لاخذها لنفسه — كلام غريب فى بابه . وفكرة سخيفة ، كان لا ينتظر ان تصدر من رئيس مصلحة مثله ، ولما رأيت التنافر يزداد بيني وبينه لهذا السبب ، دخلت عليه يوماً وقلت له . لاجل ان اريح ضميرك وابعد عنك وساوسك . ارجوك ان تدخل لمجلس

وتطلب منه احالتي على المعاش ، ففرح لهذا الخبر كثيراً وقام في الحال ودخل عند زميليه اعضاء المجلس ، وهما مسيو جلوساك ومسيو هاملتون لانج ، وقال لهما ان قليني بك التمس مني بالحاح احالته على المعاش ، فاستغربا هذا الخبر وقالا له ، كيف يقوم لنا باجل الخدم وتكافئه بالاحالة على المعاش ، لا بد ان تكون اغضبته يا باشا ، فدعه ولنا معه شأن وستكون علاقته مباشرة بيننا، لاننا في حاجة اليه ، فلم يمكنه يعارضهما وقام وطلب شاكر باشا الذى كان وكيلا المدائرة السنية وقص عليه الامر ، وقال له والآن وسيعلم قليني بك خطتي نحوه وعطف المجلس عليه فيكون موقفي امامه صعباً ، فاحب انك تزيل من ذهنه كل اثر ضدي وتستدعيه معك لنتفاهم ، حتى في بقائه نكون على اتفاق ، فخاطبني في ذلك شاكر باشا فقلت له يا باشا ، لو علمت ماذا قال لي عند توجهي لهذه المأمورية ، وعلمت كيف قابل خطاب الثناء على مجهوداتي ، لعذرتني اذا كنت قلت له لا اريد البقاء في الخدمة فطيب خاطري شاكر باشا كثيراً . وكان الرجل عظيما ووقوراً ، فاكتفينا ان قابلنا فريد باشا وتصافحنا ولكن ظلت اعمالي مرتبطة بالمجلس مباشرة

تلك احدى المسائل التي حصلت في زمن الخديوى توفيق . ومن نوادره اللطيفة عندما كان رئيساً للوزارة ، انه كتب خطاباً لناظر الدائرة السنية (المرحوم فريد باشا) يأمره فيه ، بنقل دانينوس باشا من وظيفة ناظر اشوان الدائرة باسكندرية الى وظيفة وكالة الدائرة السنية بمصر ، وفريد باشا كان رجلا معروفاً بالغرور ، وظن انه يمكنه يستخدم ذلك الغرور مع أي كان ، فرد على دولة نوبار باشا بما يأتي « افندم ، تشرفت بورود

امركم القاضي بنقل دانينوس باشا الى وكالة الدائرة السنية بمصر، وبما كانت مؤهلات هذا الباشا لا تسمح بتقليده هذه الوظيفة . فأنا آسف من عدم امكانى تنفيذ هذا الامر »

فعندما وصل لدولة نوبار باشا هذا الخطاب ، كبر على دولته هذا الامر جداً ورآه مجرداً عن اللياقة والادب والطاعة فعقد لوقته مجلس الوزراء وطرح عليه المسألة ، فتقرر بالاجماع عزل فريد باشا وتعيين شاكر باشا الذي كان وكيلا للدائرة السنية ناظراً لها بدلا عنه وتعيين دانينوس باشا وكيلا له ، وكتب نوبار باشا خطابا لفريد باشا يقول له فيه : « وصلتني مكاتبتكم وحقا ان الرجال الغير اكفاء لا يليق تكليفهم بوظائف يعجزون عن اداء واجباتها ومن هذا القبيل رأى مجلس الوزراء عدم اهليتكم للمركز الذي تشغلونه وقرر عزلكم وتعيين شاكر باشا بدلا عنكم ودانينوس باشا وكيلا له وهذا اخطار لحضرتكم

ومما حصل أيضاً فى عهد الخديوي توفيق ، ان اللورد كرومر استحوذ واحتكر النفوذ المطلق فى الحكومة المصرية ، فكان فى وقت من الاوقات ، الحاكم الفعلى الاكيد ، والآمر الناهي ، مما جعل هيئة النظار فى حكم العدم ، وبما كان اذ ذاك رئيس النظار المرحوم نوبار باشا الذي كان ممتلئا علما وذكاء وعظمة وكبرياء وأنفة لا حد لها ، عز عليه أن يكون ناظراً مذلولا . وبما كان له صلة صداقة تامه ببعض كبار السياسيين العظام فى أوروبا ، وكانت له منزلة عظمى بينهم ، نالها عن كفاءة واستحقاق ، قام وقصد لندن ، وتقابل مع كبار رجالها ، وأخص بالذكر منهم اللورد سالسبري

والمستر غلادستون ، على ما أتذكر - وعرض عليهم الحالة ، وقال لا يمكن لأي نظارة مصرية أن تقوم بواجبها طالما ان اللورد كرومر مسيطر على جميع المصالح وأعمالها ، والاتفاق بينه وبين النظارة ليس متيسر ، لأنه يريد أن تكون النظارة آلة تنفيذ لأوامره ليس الا ، فان أرادت الحكومة البريطانية أن تشتغل معنا بمحبة واخلاص ، فنرجوها أن تسحب اللورد كرومر ، وتستعيضه بمن تشاء خلافه ، وظل يقنعهم بأدلة وبراهين على ضرورة ذلك الى أن اقتنعوا ، فقالوا له ، اذا كان الخديوى متفقاً معك على ذلك فنحن مستعدين لسحب كرومر وتعيين خلافه — وكان يعلم المرحوم نوبار باشا أن الخديوى متمامل من أعمال اللورد كرومر الذى أفقده كل نفوذه ، وأنه يود الخلاص منه - فأجاب نوبار نعم ، ان الخديوى متفق معي على هذا ، فأرسلت الحكومة تلغرافاً تستفهم فيه من الخديوي ، فكان جواب سموه خذلان لنوبار باشا ، حيث قال انه راض تمام الرضاء لوجود اللورد كرومر ، ولم يكن من دواع تستدعى تغييره ، فسقطت مساعي نوبار باشا بأكملها وخجل الرجل خجلا كبيراً ، ولكنه احتمل بصبر هذه الصدمة الغير منتظرة وعاد الى مصر ، وبعد عودته بأيام قلائل كان سائداً فيها الفتور بينه وبين اللورد كرومر ، وقد لاحظ ذلك الخديوي ، فأراد الخديوي أن يكسب كرومر وأن يخرج الحالة من هذا المأزق ، فأصدر قراراً بعزل نوبار باشا ، فكان هذا فوزاً لكرومر ، ولكن نوبار باشا وهو صاحب الدهاء العظيم ، لم يمكث طويلا خارجاً عن الحكومة ، بل عرف كيف يزيل ما بنفس كرومر من جهته حتى استدعاه ثانية لرئاسه النظارة



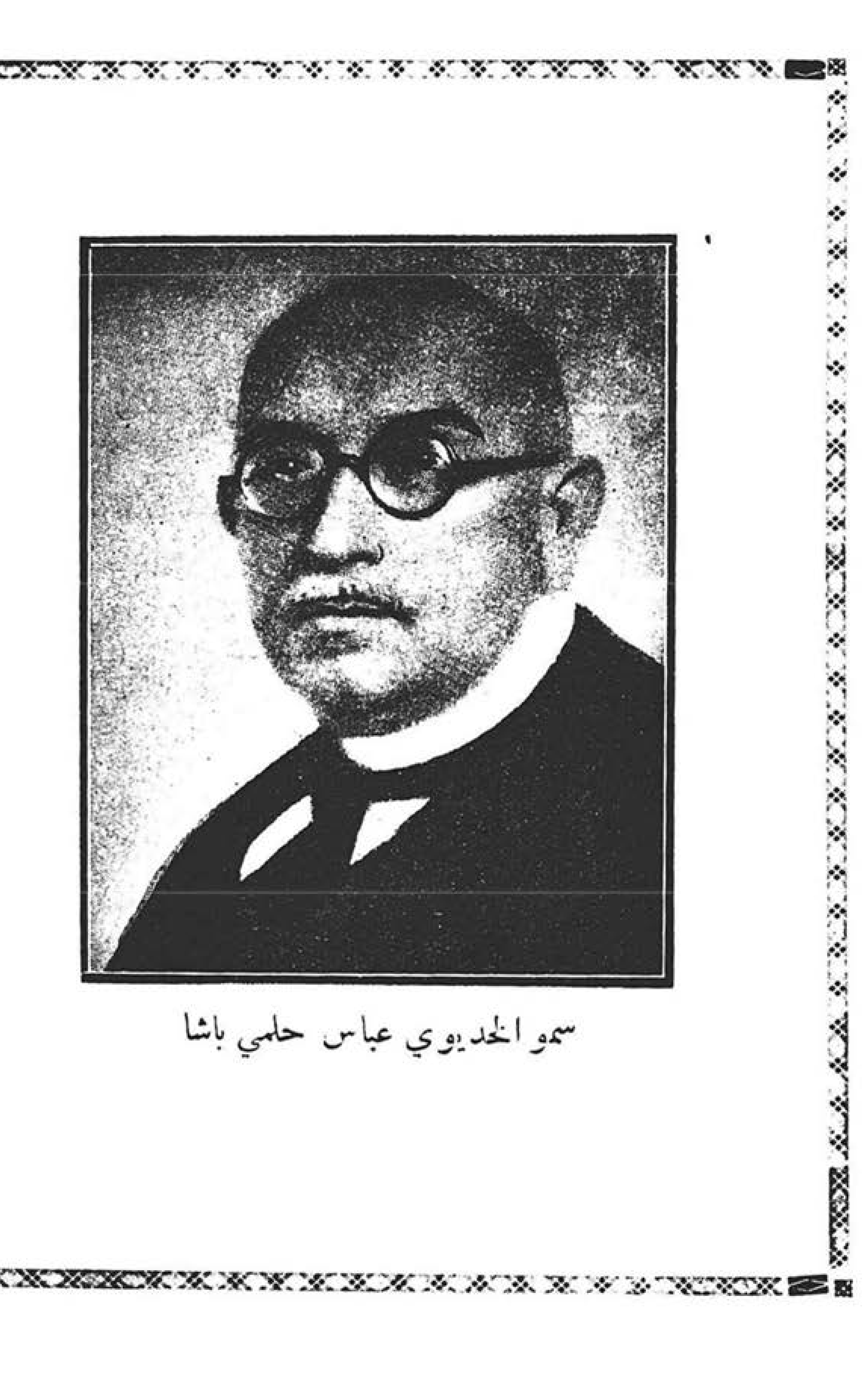
﴿ علي مبارك باشا ﴾

وهنا أكرر القول ، بأن رفاعه بك وعلى باشا مبارك ربما كاناهذان العظيمان ، هما الفردان الوحيدان اللذان قاما بنهضة العلم فى مصر ، وانتشار المدارس ، وتثقيف العقول ، ودوام اشرافهما على التعليم ، فضلا عن قيامهما بتأليف جملة كتب خدمة للعلم ، وتربيتهما لكثيرين من الطلاب الذين فاقوا الاقران في جميع أعمالهم ، كالمرحوم قدرى باشا الذى له فضل عظيم على العلم لا يمحى ، ومجدى باشا ومحمدعثمان جلال بك ومصطفى بك رضوان وكثير غيرهم ، مما لا تعي ذاكرتى أسماءهم ، وكان يجدر بمصر تخليداً لذكر هذين البطلين العظيمين أن ينصب لهما تمثالان ، على أنني لا أنكر أن الذى شجعهما على هـذه الاعمال الجليلة وساعدهما بالمال الوافر والفكر الثاقب للوصول الى تلك الغاية هو الخديوى اسماعيل اذ يرجع الفضل كله اليه لأنه كان مولعاً بالعلم وذويه ومجداً فى انتشاره فى بلاده ، معضداً له بكل الوسائل

والخديوى توفيق له مأثرة عظيمة لا يجب اغفالها ، تلك المأثرة هى مدينة حلوان ، التى يقال بحق انها صنع يديه ، لأنه وان كان الذى وضع أساسها هو المرحوم الخديوى اسماعيل ، حيث أقام بها الحمامات المعدنية التى لها من المزايا ما لا ينكر — والدهر لم يمهله لاتمامها ، فالخديوى توفيق تخليداً لذكرى أبيه ، وحباً فى العمران . وخدمة للانسانية قام بجد واجتهاد فى تكوين مدينة حلوان ، التى كانت فى عهد أبيه لا يوجد بها الا الحمامات وفندق واحد ، وربما عدد من المنازل لا يتعدى خمسين بيتاً ، فجعلها مدينة عامرة ، ربما أصبح بها الآن ماينوف على الالفى منزل — وخط فيها الشوارع العظيمة ،

وغرس فيها المتنزهات وأوجد بها المياه والنور - فالفضل كل الفضل راجع له فى تكوين هذه المدينة العظيمة وعمرانها، لانها قائمة بخدمة الانسانية خدمة لا تقدر ، حيث يقصدها كثير من سكان ممالك أوروبا فى فصل الشتاء للاستحمام بمياهها المعدنية الشافية ، رحمه الله ، رحمة واسعة

وانى اقتصر هنا على ذكر بعض ما علق بذهني فى عهد المرحوم الخديوي توفيق لانى فى الحقيقة لا اقصد تحرير تاريخ لمصر وما جرى فيها أو تاريخ عن مجموع ماجرى فى حياتي باكملها ، بل قصدت ذكر اشهر الحوادث على حقيقتها لاني اكتب كما قلت ماشاهدته بعيني أوعملته بنفسي ليس الا على سبيل التذكار لما جرى فى عهد حياتي مقلدا بذلك غيري ممن



سمو الخديوي عباس حلمي باشا

مذكرات

في عهد سمو الخديوي عباس حلمي الثاني

سمو الخديوي عباس حامي الثاني هو بالاجماع ذكى ذكاء مفرطاً ، لطيف المقابلة يسحر بلطف بيانه جميع زائريه ، حتى مبغضيه ، كثير النشاط والحركه ، لا يكل ولا يمل من أي عمل ، حاضر الذهن ، يفهم من وجهك ماذا تريد منه ، مغرم بالحقول والمزروعات بجميع انواعها ، ميال لتربية الحيوانات ، محب للاسفار ، تواق للاشتغال في كل ما يعود منه نفع مالى ، وكان منهمكا فى المسائل السياسية المرتبطة بالخلافة ، طامع فى ان يكون يوما ما خليفة للمسلمين ، أعنى ينتقل الخلافة من السلطنة العثمانية للخديوية المصرية

ولا ننكر بهذه المناسبة فضل الانكليز فى نظام قوانين البلاد والاعمال الجيدة التي اتاها بعضهم ونخص بالذكر منهم كرومر وملنر وغورست وبالمر ومنكريف واسكوت وهاملتون لانجوموني وونجت واللنبي وكتشنر — هؤلاء الرجال الذين تولوا أكبر المناصب العالية ، بعضهم نائبين عن الدولة الانجليزية بمصر ، وبعضهم موظفين بالحكومة المصرية قاموا بخدمات جليلة جدا لمصلحة البلاد ، يطول الشرح اذا اردت بيانها وتفصيلها ، واخص بالذكر كرومر وكتشنر ، اما الشخص الوحيد الذى كان شريراً في اعماله يود الضرر لجميع الناس من بين الانكليز هو المستر متشل انس ، الذى كان

وكيلا لنظارة المالية المصرية ولذا كان مبغوضاً مكروهاً من الجميع ، سواء كانوا مصريين او انجليز ، حتى ان اللورد كرومر لما لاحظ ذلك امر بطرده من خدمات الحكومة المصرية باهانة وازدراء ليس عليهما من مزيد

تولى سمو الخديوي عباس حامي الثاني،عرش الخديوية المصرية بعد وفاة والده المغفور له الخديوي توفيق في عهد وزارة مصطفى فهمي باشا التي بادرت باستدعاء سمو الخديوي عباس من المدرسة التي كان يتلقى العلوم فيها بفينا ، فحضر على جناح السرعة وعمل له احتفال باهر بقدومه وجلوسه على عرش آبائه واجداده ، وكان اذ ذاك يناهز الثامنة عشرة من عمره ، فبمجرد جلوسه على كرسي الخديوية اظهر شغفاً زائداً بحب السلطة والتداخل في شؤون الحكومة وهو الذي ابتدع ان يكون مجلس النظار تحت رئاسته في كل انعقاد يعقد حتى يكون ماماً بجميع المسائل،وقد زين له الحزب الوطني الذي كان يرأسه مصطفى باشا كامل وقتها بانه من الممكن اخراج المحتلين من البلد بواسطة ما يبذل من المساعي والمال،ويكون الخديوى حراً في بلده مثل جده اسماعيل يفعل ما يشاء بدون قيد ولا شرط ،كما زين له الشيخ محمد عبده ،ومن كان على طريقته ، ان يكون خليفة المسلمين ، فبذل مجهوداً عظيما لنفاذ تلك الاوهام بل وصرف اموالا طائلة بحيث ضاعت عليه مجهوداته ومساعيه في هذا السبيل بأكملها ، التي ما كانت الا وسيلة قصدها المحيطون به ، انتفاعهم الشخصي

وقد وقع في عهد سمو الخديوي عباس حامي الثانى كثير من الحوادث اتذكر منها ، مسألة قلب الوزارة الفهمية ،ومسألة الحدود،ومسألة نفي غبطة البطريرك الراحل . والمؤتمران القبطي والاسلامي وغير ذلك

وزارة مصطفى فهمى باشا

فمسألة المرحوم مصطفى فهمي باشا هى : — كان هذا الوزير العظيم على رأس الوزارة حينما تولى الخديوي عرش الخديويه ، وكان رجلا رقيق الاخلاق ، كاملاً ، مؤدباً ، ذكياً ، متواضعاً مع حفظ كرامة النفس ، هادي الطباع جداً . محبوباً عند العقلاء . مكروهاً عند الجهلاء . لاعتقادهم انه مع الانكليز ، فدخل فى ذهن الخديوى ان هذا الرجل انكليزى الاخلاق بالمره ، وانه صنيعتهم وعدو الوطن وانه ... وانه ... الخ ، فأراد الخديوى ان يتخلص منه بعد ان اتفق على ذلك مع المرحوم بطرس باشا غالي ونجران باشا ، فانتهز فرصة مرض المرحوم مصطفى فهمي باشا الذى كان ينتظر وفاته من يوم ليوم ، وكان الرسول المخبر له عن حالته الساعة تلو الساعة هو محمود شكري باشا الذى كان رئيس الديوان التركي بالسراى — كان هذا الباشا يكرر الزيارة يومياً لمصطفى فهمي باشا متظاهراً بالمحبة والاخلاص للوزير — وباطنا كان ينتظر ان يكون اول مبشر للخديوى بوفاة مصطفى باشا ، ولما يئسوا من عدم وفاته ونظروا أن صحته اخذت فى التقدم الى ان دخل فى دور الشفاء ، أرسل الخديوي محمود شكرى باشا ليخبر مصطفى باشا بان صحته تستلزم الراحة زمناً طويلا ولذلك اشار عليه ان يقدم استعفاءه لانه صمم على تشكيل وزارة جديدة . فكان جواب مصطفى فهمي باشا لمحمود شكرى باشا . ان جناب الخديوى شاب لم يكن حاصلا على تجارب كافية ، وأخشى عليه كثيراً لاني محب للبيت الخديوي فانصحه ان لا يفعل امراً

الا باستشارة وارشاد اللورد كرومر ، فكبر على الخديوى ذلك وزاد اعتقاده ان الرجال صنيعة الانكليز وبغضه زيادة عما كان يبغضه، والفضل فى ذلك لمحمود شكري باشا ، لانه هيج الخديوى كثيراً باقوال لم تصدر من مصطفى فهمي باشا ، فأصدر الخديوي بدون استشارة كرومر دكريتو باسقاط نظارة مصطفى فهمى باشا ، وتشكيل نظارة جديدة برئاسة فخري باشا وعين فيها المرحوم بطرس باشا ونجران باشا ناظرين ، فقام اللورد كرومر وقعد لهذا العمل، وأمر في الحال باسقاط الوزارة الجديدة واعادة النظارة القديمة ، فاصبح مركز الخديوي مهدداً مهاناً ، وانكر نجران باشا وبطرس باشا تداخلهما مع الخديوي وانهما لا يعلمان شيئاً ، وتوسطا لدى كرومر ملتمسين التساهل فى الامر بمعنى ان يترك شيء للخديوى ويجاب شيء من طلب اللورد حتى لا يسقط نفوذ الخديوي بالمرة، وأخيراً قر الرأى بعد أخذ وردطويلين بعزل رئيس النظارة الجديدة فخرى باشا ، وان يحل محله رياض باشا الذى اختاره كرومر وانقضت المسألة على هذه الصفة ولكنها ابقت فى النفوس شيئاً . ومع هذا فقد ظن الخديوي انه فاز فوزاً عظيما ، وأوعز بواسطة رجال المعيه لرؤساء المصالح واعيان البلاد وأهاليها ، على تقديم التهاني للخديوى ، فتوجهت وفود كثيرة لعابدين وانا من بينهم ، فدخلت ضمن وفد كثير العدد من ذوات القطر وموظفيه ، فاستقبلنا الخديوي بوجه فرح ، وصدر منشرح مما يدل على انه مسرور من عمله الذى قام به ، وانه نال شبه انتصار فى سياسته وكان يحادث القوم بدون مبالاة . قائلا هل انتم مبسوطون ؟ « نعم يا أفندينا ربنا يطول عمرك »



(حسين فخري باشا)

هكذا كان جواب جميع الحاضرين ، وعلاوه على ذلك كان البعض يقول « يا أفندينا ربنا كتب ان خلاص البلاد على يدك ، ما رأينا هذا الحماس وحب البلاد واهلها صدرا من غيرك . ربنا يخليك ، ويطول عمرك »

وكثير من الفاظ النفاق والتملق المعتاد عليها أهل بلادنا ، الذين يقولون هذا القول وبمجرد خروجهم من الحضرة الخديوية كانوا يقصدون سراى كرومر ، ويلتمسون التشرف بالمقابلة ويقولون

« لولا وجودك فى بلادنا لما عرفنا نخرج من بيوتنا ، وكنا شحذنا العيش »

وهكذا كانت صفات بعض اهالى البلاد ومملقيها ، وربما كان ذلك ناشئاً من الذل الذي قاسوه من حكم الاستبداد القديم الجائر ، والمظالم التى لا تحصى فلهم العذر فى ذلك

وعند مصافحتى للخديوى فى ساعة الخروج ، استوقفنى امامه لحظة ويده فى يدى وسألنى — لم لم تتكلم — وما رأيك الخصوصى — انا اعرف فيك انك حر الفكر ، ولا تخشى ان تبدى رأيك بصراحة ؟

— فقلت يا أفندينا ، ان رأيي مخالف لرأي الجميع ، فان سمح مولاي بالكلام فأقول

فقال — نعم

فقلت — يا أفندينا انه كل ما صار لا يفيد البلاد بشيء — ولا يفيد أفندينا بشيء مطلقاً ، وغاية ما هناك يوجد شيئاً فى النفوس ، ربما ينتج عنه تأخير بعض الاصلاحات النافعة للبلاد ، ومثل هذه الاعمال لا تخرج الانكليز من بلادنا ولا تزحزح الاحتلال من عندنا ومصر باكملها وجميع

قواها ، كما يعلم أفندينا ، لا يمكنها تقف في وجه دولة الانكليز ، واذا كنا مسلمين بأن الاحتلال الانجليزي باق فى بلادنا ، فكل عمل عدائي معهم يضر بمصلحتنا ، واذاً فالذي أشير على أفندينا به هو ان يكون أفندينا واللورد كرومر على صفاء واتفاق تامين للعمل معاً في مصلحة البلاد ، وبدون واسطة النظار — والنظار بعد الاتفاق بين افندينا واللورد كرومر على اى امر يتلقون الاوامر من افندينا مباشرة اولى من استبعاد افندينا عن اللورد كرومر ، والنظار يتفقون معه على كل شيء سواء رضي افندينا ام لم يرض ، وفى النهاية يقبل مولاى بعملهم ، التوقيع على الاوامر وهم الذين ينالون فخر العمل عند المحتلين ، ويقولون ، تعبنا كثيراً مع الخديوي حتى اقنعناه بكذا وكذا ، كأن افندينا ، وجدعاة لتقربهم من المحتلين ، وواسطة لثبات اقدامهم في مناصبهم وهكذا كلها . .

فاطرق افندينا برأسه مفكراً وقال « نعم عظيم جداً واحسن طريقة في الاحوال الحاضرة الا اني ارى ذلك ثقيل على نفسى »

فقلت لافندينا — اذا كان الامر كذلك ولا يقبله افندينا ، يوجد امر آخر وهو جعل مناصب النظار مناصب شرف لا يتعاطى عنها مرتب سوى مصاريف انتقال قدرها اربعون جنيها في الشهر كما الجارى فى سويسرة وبعض ممالك اوروبا ، وبهذه الطريقة يمكن العمل بدون دسائس لان الناظر الذى يتقاضى مرتباً ضخما يعز عليه حينئذاك ترك مركزه فلذلك يسعى جهده للثبات فى وظيفته بسبب ذلك المرتب ، ولو باع فى سبيل ذلك ، البلاد ومن فيها

فقال — هذا صحيح وهذا الرأى يعجبني جداً ، ولكني هل اصل الى تحقيقه ؟ حيث كما تعلم ان هذه المرتبات الضخمة جعلت للنظار كثمن اشتراهم الاحتلال الانكليزى به ليكونوا خاضعين لارادته فقلت — يامولاي لاارى حلا للاشكال الاقبول أحد هذين الامرين ، وأستأذنته وانصرفت واتذكر ان كثيرين ممن كانوا امعى لاموني لوماً شديداً على جراءتى وصراحتى بهذه الطريقة مع الخديوى فضحكت ضحكا عاليا مستهزئاً وتركتهم غير مكترث باقوالهم وقلت لهم لو بطل التملق لرأينا الحكام تتصلح حالهم ، الامم فى أوروبا تربي الحكام وتهذب أخلاقهم وتقوم اعوجاجهم وتعلمهم كيف يسوسون البلاد ـ ونحن مع الاسف نفسد أخلاق الحكام بدوام تملقنا الكاذب ونفاقنا الزائد ، وهذا مما أوجب خراب البلاد وذلك كيانهم مع الاسف ، فكونوا كما تريدون واتركونى أكون كما أريد

حادثة الحدود

كان الخديوي عباس — كما قلنا — شاباً متحمساً عندما جلس على كرسي الخديوية المصرية ، وكان محاطاً بدعاة الحزب الوطني ومتشبعاً بافكارهم

وكان قنصل عام فرنسا فى ذلك الوقت المدعو المسيو دي ريفرسوه دواماً يشجع الخديوي فى كل فرصة يراه متحمساً فيها ضد الانكليز ، ويؤكد له ان دولة فرنسا فى ساعده مستعدة لتعضيده فى كل مايطلب منها ، فطمع الخديوى فى هـذا القول ورأى فيه استئناساً عظيما ، ولذلك عند ما قصد الحدود واستعرض الجيش الذى كان هناك ، عاب عليه بعض الحركات فامتعض من ذلك اللورد كتشنر ولـكن لم يظهر امتعاضه بل كتم فى نفسه الامر وبادر فابلغه الى اللورد كرومر ، فعند ما بلغ ذلك اللورد أقام الارض وأقعدها وخابر وزارة الخارجية الانجليزية وتحصل منها على تصريحات فيما يفعل فى هذا الموضوع كما أراد

فى أثناء ذلك قام الخديوى من اسوان ماراً بالمديريات التى فى طريقه الى مصر الى أن وصل الى مديرية الفيوم . وفى أثناء وجوده فيها قصد اللورد كرومر دولة رياض باشا وقال له ، اما أن يعلن الخديوى شكره للورد كتشنر وثناءه للجيش ، وأما أن لا يعود الى مصر ، فكبر الامر على رياض باشا جداً وقال له : كيف ذلك هل لم يكن من حق الخديوى ، وهو الرئيس الاعلى للجيش أن يوجه انتقاداً اذا رأى ذلك ؟ فقال له اللورد انه لم يقصد بما فعله الا الحط من كرامة الانجليز الذين هم أساتذة الجيش

المصري ، وعليه فنعد ماحصل منه اهانة للدولة البريطانية، فقال له المرحوم رياض باشا ، اترك لي الامر وانا اسوى المسألة بما يرضيك عند عودة الخديوى لمصر — فقال لا يمكن أن يعود قبل أن يجيبني على ما طلبت. فوقع رياض باشا في حيرة كبيرة ، لأنه استنتج من كلام اللورد ان مركز الخديوى مهدد ، فأراد أولاً أن يقابل قنصل عام فرنسا ويستطلع رأيه في الامر . فعند ما قابله تغير الرجل تغيراً كبيراً ، وقال لرياض باشا ان الخديوى أخطأ فيما فعل ، وأن دولة فرنسا لا تمكنها التداخل في ذلك ـ فقال له يا جناب القنصل كثيراً ما قلت للخديوى بان فرنسا في عضدك والآن تتبرأ كلية ، وأرى أن في أقوالك المشجعة للخديوى ما دفعه الى هذا الامر ـ فقال أنا كلمت الخديوى عما اذا كان يوجد سوء تفاهم بسيط في مسائل جزئية ، انه بواسطة ودية يمكننا تسويتها وبهذه الكيفية هرب الرجل من كل ماوعد الخديوي به

امام هذا لم يكن امام رياض باشا الا احد امرين اثنين ، اولهما ان يرفض اجابة طلب اللورد كرومر ولا يذهب الى الفيوم ، فيترتب على ذلك ضياع العرش من الخديوى — والامر الثانى هو أن يتوجه للجناب الخديوى ويشرح له الحالة من اولها الي آخرها ويستميله الى تسوية المسألة فبذلك يحفظ العرش ويخدم الوطن ، فالرجل رجح مصلحة الوطن ومصلحة العرش ان يقوم الى الفيوم بكامل هيئة مجلس الوزراء ويعرض الامر على الجناب الخديوى ، وفعلا قام وفعل ذلك وسويت المسألة بالطريقة المعروفة

وبعد ذلك دخل الخديوى مصر وظل محتجباً بسراى القبة زمناً طويلا

عن المقابلات العمومية وعن كل شيء واخيراً حضر لعابدين وقابل كالمعتاد جميع الناس وباشر الاعمال

اقول هذا لانى كنت فى ذاك الوقت بحكم وظيفتى ملازماً للمرحوم رياض باشا ومطلعاً على مجريات الامور ولا صحة مطلقاً لما قيل خلاف ذلك

الموتمران

القبطى والاسلامى

ومن الامور التى حصلت فى عهده ايضاً ان المرحوم بطرس باشا تولى رئاسة النظارة خلفاً للمرحوم مصطفى فهمي باشا ، وكان اذ ذاك حائزاً لثقة الخديوى التامة ، فمامكث الا اياماً قليلة فيها حتى قتل بيد اثيمة ـ والاقوال كثيرة ومتعددة فى مقتله ، فمنهم من نسب مقتله لدسائس من بعض النظار الحاقدين عليه ، ومنهم من نسب ذلك الى بعض رجال السراى والله اعلم بالحقيقة .ـ فأظهر الخديوى عطفاً كبيراً عند قتل المرحوم بطرس باشا على عائلته حتى انه خلافاً للتقاليد حضر بنفسه لمنزل بطرس باشا وعزى عائلته كما وانه امر حرمه المصون بأن تعزى حرم المرحوم بطرس باشا فى منزله وهذه رعاية لاتعادلها رعاية

حدث ان مقتل المرحوم بطرس باشا كان فى عهد السير غورست مندوباً عن الدولة الانجليزية بدلاً من اللورد كرومر ، وقد كان الخديوى

ممتلئاً غضباً وحنقاً ضد السير غورست فأراد أن ينتهز هذه الفرصة للانتقام منه مع انه هو الذى اختاره أن يكون بدلا عن اللورد كرومر وكان اذ ذاك قد ابتعد الحزب الوطنى عن مناصرة الخديوى فى مبادئه فأراد أن يستخدم بعض صغار العقول من الاقباط بأن خدعهم بالقول لهم ان لهم حقوقا ضائعة ، وهو يود معاملتهم بالعدالة لولا ان مندوب الدولة الانجليزيه واقف فى وجهه ، فيشير عليهم بأن يعقدوا مؤتمراً يقررون فيه طلباتهم واغراضهم ويرفعون به تقريراً لسموه وآخر للدولة الانجليزية

لم يكن الخديوى يقصد بهذا العمل سوى ان يخلق ارتباكات للسير غورست يريد من ورائها اسقاطه اذا أمكن ولم يراع ان فى ذلك امر يوجب الشقاق بين العنصرين فطلبت انا مقابلة سموه . والتمست ان يكون حين مقابلتى معه رئيس النظار بصفته مسؤولا عن الامن العام . فأمر بحضورى امامه وكان فى حضرته كبير النظار كما طلبت فقال لى ماذا تريد ياقليني باشا فقلت — هل افندينا يسمح لى ان اتكلم بحرية

فقال تكلم

قلت — افندينا لا يوجد احد فى الدنيا يخرق بيته بيده . فقيام الاقباط الآن بعمل مؤتمر بالصفة التى اشير بها يعد اعلان حرب على اخواننا المسلمين حالة كونهم متفقين فى المعيشة وفى السراء والضراء كعائلة واحدة فاخشى ان يترتب على ذلك شيء مما لا تحمد عاقبته وتكون اضراره على الاقباط أكثر من المسلمين. وانا اعرف ان كلمة من سموكم تقضى على كل ذلك حتى نعيش مع اخواننا كما نعيش فى هدو وسلام

قال — لا يافليني باشا هذه مسائل دينيه انا لم أدخل ولا اتداخل فيها

فقلت — يا أفندينا انا لا اتكلم لا عن كنيسة ولا عن مسجد حتى يكون العمل دينى ، انما اتكلم عن مصلحة عامة اقصد بها دوام السلام والصفاء بين الاقباط والمسلمين ، وأخشى ان هذين الامرين المرغوب فيهما يحصل ضدهما اذا قام الاقباط بعمل المؤتمر المنشود فاذا كان افندينا لا يأذن بعدم عقد هذا المؤتمر الذي أخشى عواقبه كثيراً ولا يحب التداخل فى اره فليسمح لى أن اتكلم فى شأنه مع السر غورست

فقال — لامانع عندي من ذلك

عند ئذ نطق رئيس النظار بعد ان كان ساكتاً وقال : — يا افندينا أمر واقع فى البلد ، وترك الشأن فيه لفلينى باشا مع الاحتلال ولا تتداخل فيه السراى ولا الحكومة ، امر يوجب الشكوك والظنون فليسمح لى افندينا ان اتكلم فيه مع السير غورست

فقال — لامانع ، ولكن فى الوقت ذاته اوعز لبعض من اشار عليهم بعمل المؤتمر اذ انه ربما السير غورست يقف حجر عثرة فى سبيل عقد هذا المؤتمر . فأذا وقع ذلك فيلزم ان يرفعوا شكواهم الى الوزارة الانجليزية فى لندن يطعنون فى تصرفات السير غورست ، وفعلا وقع ما كان ينتظر وقوعه، حيث ان السير غورست توقف فى اجابة مطلب عقد المؤتمر فأرسلوا شكاوي عديدة وتهكموا فيها كثيرا على السير غورست حتى انه فهم أخيراً ان هذه المناورات من الخديوي . وأخيراً وصلت أوامر من لندن تسمح للاقباط بعقد المؤتمر ، وعقد فعلا باسيوط ، واصدروا قراراً بما

ارادوه مما أغضب المسلمين غضباً شديداً لدرجة انهم قاطعوا الاقباط في جميع أعمالهم فتقابل السير غورست مع الخديوي وقال له ، انا عندى علم ان الذي حرض الاقباط على هذا العمل هو سموكم . فانكر الخديوى صحة ذلك فقال له السير غورست ، اذا كان ما يقوله الخديوى هو الواقع فلا يسمح للقائمين بهذا المؤتمر بالدخول للسراى ولا مقابلتهم ولا قبول طلباتهم ، فلم ير الخديوي بداً من قبول ذلك حتى يتظاهر بان لا يد له في هذا العمل ويدارى مناوراته في هذا الموضوع ، فأراد محمد سعيد باشا رئيس النظار من جهة أخرى ان يكسب عطف السير غورست عليه ويتقرب من الانجليز على حساب الاقباط فحسن للسير غورست ان يعقد مؤتمراً اسلامياً ضد المؤتمر القبطي في اعماله ـ وكان ذلك ولو لا ان تولى رئاسة المؤتمر الاسلامي رجل حكيم مشهور له ببعد النظر وهو المرحوم رياض باشا لترتب من جراء ذلك مذبحة بين الاقباط والمسلمين

رأيت وانا الوحيد الذى ابتعد عن الاشتراك في هذه المؤتمرات ومقت وجودها ، انه اذا استمر الحال على هذا المنوال لحصل فشل عظيم وضرر كبير بالبلاد ، تضحي فيه مصالح كثيرين من العنصرين ، فعرضت الامر بحذافيره على المرحوم اللورد كتشنر الذى تولى اذ ذاك منصبه بمصر فاعجبه كثيراً فكرى ورأيي وشكرني شكراً عظيما على هذه الفكرة ، ودعا من فوره زعماء المؤتمرين وامرهم في الحال بحل هذين المؤتمرين واعتبارهما كانهما لم يكونا ، وكان امره امراً نافذاً لا يستطيع احد مخالفته . فعادت المياه الى مجاريها وحل الصفاء والسلام محل العراك والخصام : مما اوجد

رابطة ووحدة العنصرين وتضامنهما فى خدمة البلاد كما يرى الآن
وانى اتباهى بكونى كنت من الذين سلكوا سبيل السلام والوئام

نفى البطريرك

البطريرك المتوفى كان لا شك رجل قديس ، صالح الاعمال ، طاهر القلب ، بعيد النظر ، حكيم فى اقواله واعماله ، محترم عند المسلمين والنصارى والافرنج ، وكان الانجليز يحبونه كثيراً . كما ان الخديوى كان يحترمه جداً للصفات التى ذكرت

ونظراً لكون السيد البطريرك كان قد استبعد هو والانبا يؤانس بناء على طلب فريق من الاقباط الى ديريهما ، فالقصة الخاصة بهذا النفى والمجهودات التى بذلها فى اعادة البطريرك والانبا يؤانس من منفاهما فيكتفى بذكر بيانها وما تخللها من الحوادث بما نشره ضمن خطابه لاصحاب جريدة المقطم المنشور بها فى العدد الصادر فى يوم ؛ سبتمبر سنة ١٩٢٧ تحت عنوان

الحقيقة والتاريخ

حضرات الافاضل اصحاب المقطم الغراء

اسمحوا لى قبل كل شيء ، ان اشكركم من اعماق قلبى ، شكراً جميلاً ، على ما خطه قلمكم السيال ، من الآيات البينات ، رثاء للحبر الاكبر ، قداسة البابا المعظم بطريرك الكرازه المرقسية والحبشة والسودان ، والمدن الخمس الغربية ، اشكركم شكراً جزيلا على ذلك ، وعلى روايتكم تاريخ

حياته الممتلىء بالفضيلة والمحبة ، وخدمة الانسانية ، مما يطابق الحقيقة ، ماعدا الجزء الخاص بنفي قداسته . ونيافة مطران الاسكندرية ، فان بعض ماجاء فيه بعيد عن الحقيقة . وليس من رأى كمن سمع ، فخدمة للتاريخ . واعلاناً للحقيقة ، وان كانت مرة في بعض الاحيان ، تطوعت لبيان حادثة هذا النفي كما حدث والله على ما اقول شهيد

قلتم فيمانشر تموه ، ان من فكر في نفي غبطة الحبر الاكبر هو الجناب الخديوي . وهذا القول بعيد عن الحقيقة ، ولم يخطر لسموه هذا الامر مطلقاً ، بل ان سموه كان يجل غبطة البطريرك كثيراً . ويحترمه كل الاحترام . ويعتقد في صلاحه اعتقاداً كبيراً ، وكان اذا جاء ذكر غبطة البطريرك في حديث يقول سموه لي (سيدنا غبطة البطريرك قال لي كيت وكيت) وانما الذي خطرت له فكرة نفي السيد البطريرك هو المرحوم بطرس باشا غالى ، لانه رحمه الله كان يعتقد ان تربية ومبادىء غبطة البطريرك ، لاتطابق مبادىء العصر الحاضر ولما كان شغوفاً بتقدم طائفته ، ميالا الى رفعة شأنها ، رأى بل اعتقد ان العلاج الوحيد لذلك ، هو ابعاد غبطة البطريرك ، أي نفيه ، ونفي نيافة الانبا يؤانس مطران الاسكندرية الذي كان صديقاً حميما للسيد البطريرك ، وتسليم ادارة شؤون الطائفة الى المجلس الملي

جرت عادة الطائفة القبطية قديماً ان تخضع لمن يكون من ابنائها متقلداً لمنصب حكومي رفيع ، مسموع الكلمة ، نافذ الامر ، فكانت تتخذه كبيرها وزعيمها . وقد شاهدت منذ نشأتي اربعة زعماء من هذا القبيل . اولهم المرحوم وهبه بك جيراوى ، كان رحمه الله باشحاسبجي الحكومة

(باشكاتب المالية) وهو محل ثقة اسماعيل باشا المفتش ، بل وسمو الخديوي الاكبر اسماعيل باشا ، فكان اذ ذاك هو كل شيء ، وكان الاقباط يجلونه ويحترمونه وينقادون لأى اشارة تصدر منه . وبعد وفاته، حل محله المرحوم دميان بك ، وبعده المرحوم عريان بك ، وبعده المرحوم بطرس باشا غالى وكان رحمه الله آخر الزعماء المسموعي الكلمة ، والمحترمين عند الطائفة وبعد وفاته ، اصبح كل قبطي مهما كان مركزه ، ولو كان نجاراً او حداداً يعتقد فى نفسه انه زعيم الطائفة وكبيرها

ذكرنا هنا هذه اللمحة التاريخية تمهيداً لما يأتى

عندما اظهر المرحوم بطرس باشا رغبته فى نفى السيد البطريرك ، التف حوله جميع اعضاء المجلس الملى بالموافقة على رأى سعادته ، ولم يتخلف احداً منهم سواي لانى كنت معارضاً اشد المعارضه فى نفى غبطة البطريرك ونيافة المطران ، ولكن تغلب رأى الاغلبية ، وبقيت انا ثابتاً على رأيى ، واتذكر اسماء بعض من حضرات الاعضاء الذين انضموا الى المرحوم بطرس باشا فى رأيه وهم المرحوم سعد بك عبده ، والمرحوم مقار باشا عبد الشهيد والمرحوم باسيلى باشا تادرس والمرحوم عوض بك سعد الله ، وغيرهم من الذين غابت اسماؤهم عن ذاكرتي — واتفقوا على تقديم عريضة عن لسان المجلس الملى لسمو الخديوي المعظم يلتمسون فيها ابعاد غبطة السيد البطريرك ونيافة مطران الاسكندرية . ورغب منى المرحوم بطرس باشا فى التوقيع عليها فرفضت . فأرسل لى مقار باشا وباسيلي باشا ليقنعانى فلم اسمع لهما وظللت ثابتاً على معارضتى للنفي ، وبعدما وقعوا على هذه العريضة بذلوا مساعي عظيمة

لدي رئيس النظار بالنيابة . المرحوم عبد الرحمن رشدي باشا ، واستعانوا بالمرحوم نجران باشا الذي كان صديقاً حميماً لبطرس باشا . ففازوا باقناع دولة رئيس النظار ووافقهم على رفع عريضتهم للاعتاب الكريمة ، وفعلا قدم تلك العريضة للجناب الخديوى ، وبذل مجهوداً عظيما لاقناع سموه باجابة طلب نواب الطائفة مادام انهم يرون فى ذلك اصلاح شؤونهم ، فوافق الجناب العالي على اصدار امره الكريم بذلك اجابة لالتماسهم فقط فيتبين لحضراتكم من هذا البيان ان نفي غبطة السيد البطريرك ونيافة مطران الاسكندرية لم يكن من بنات افكار سمو الخديوى ، وانما هى فكرة المرحوم بطرس باشا وكان يعتقد ان فيها خدمة لطائفته

وعقب ذلك أخذ السيد البطريرك بقوة عسكرية مسلحة مخفوراً بها لتوصيله الى محل منفاه وهو دير البراموس ، كما يؤخذ أحد المجرمين فكان يسير باش الوجه مع العساكر المرافقين له ، ويقول لهم لماذا هذا السلاح ، وهذه العدد ، وهذه القوة وأنا شيخ كبير لاقوة لى والله القادر يفعل مايشاء ويريد ، ويعقب على هذا الكلام بالصلاة لله ان يغفر للناس سيئاتهم

نفى البطريرك ونفى مطران اسكندرية بالطريقة التى ذكرت ، فقام جمهور الطائفة وقعد من جراء نفي البطريرك الذي يعده الشعب قديساً فى نظره ، ويركعون سجوداً لاسمه . كلما ذكر احتراماً لمقامه الديني ولشخصه ذاتياً

وعاد عقب ذلك المرحوم مصطفى فهمي باشا من اوروبا وكان

رئيس النظارة فاظهر عدم رضاه عما حدث ولام عبد الرحمن رشدي باشا الذي كان نائباً عنه لوماً شديداً على ذلك ، ولم تمض أيام قلائل حتى سقطت وزارة مصطفى باشا ، والفت وزارة الرجل العظيم رياض باشا ، فكان من باكورة اعماله الاهتمام بعودة غبطة البطريرك معلناً سخطه الشديد على نفيه هو ونيافة مطران الاسكندرية حتى أنه قال للجناب الخديوي

انت يا افندينا لا تملك نفي فرد بسيط من الافراد الا بحكم يصدر من محكمة ، فكيف تأمر بنفي رئيس ديني جليل المقام يماثل بابا رومه ، وكيف يكون موقف سموكم لو التجأ البطريرك للمحاكم ؟ فتأثر الجناب الخديوي من هذه الالفاظ وقال هذا خطأ الذين طلبوا مني هذا الطلب ، ولكني اطلب منك يا رياض باشا العمل على عودته سريعاً معززاً مكرماً

وكان المرحوم رياض باشا ثقة عظمى بالداعي ومن جهة اخرى كان معروفاً عني انني غير راضي عن نفي غبطة البطريرك ، فلهذين السببين دعاني المرحوم رياض باشا وسألني عن احسن الطرق لاعادة البطريرك موفور الكرامة ، فأجبت ان احسن الوسائل لذلك ان يتقدم التماس لدولتكم من الهيئة التي التمست نفيه ترجو فيه من الحكومة اعادة غبطة البطريرك لان في ذلك حفظاً لكرامتهم ، وترضية لغبطة البطريرك ، وعند وصوله الى محطة مصر ، يقابله كبار رجال الحكومة ، ويكون في انتظاره هناك فرقة عسكرية لتأدية التحيه وعند تشرفه بمقابلة سمو الخديوي يقلده بيده الكريمة الوشاح المجيدي الاكبر ، فعجب اقتراحي هذا دولة رياض باشا كثيراً ، فأقره وامر بتنفيذه ، ولكن لاحظت انه لم يرق في عيني المرحوم بطرس



[illegible] باشا

من المقتطف

باشا . لكن هذا لم يكن داعياً لتأخير تنفيذ البروجرام ، فبادر المرحوم رياض باشا واصدر أوامره في الحال بعودة غبطة البطريرك ونيافة مطران الاسكندرية واستقبالهما بالمحطة طبقاً للبروجرام المشار اليه . فكان يوم قدومهما نصر يوماً سعيداً بل عيداً عظيما لجميع الامة المصرية من مسلمين واقباط لما كان للرجل من منزلة فى قلوبهم

ولقد تشرف على أثر عودته بمقابلة الجناب الخديوي فقلده بيده الكريمة النيشان المجيدي الاول

ثم طلب مني المرحوم بطرس باشا ان أطلب من السيد البطريرك زيارة ابنائه الذين كانوا غير راض عنهم نظراً لهذه الحركة ومنحهم البركة والعفو عما مضى

فلبيت الطلب وقمت بالمهمة احسن قيام لان محبة البطريرك لي وتقديره لعواطفي نحوه جعلاه ممتلئا ثقة بى فكان يجيبنى الى كل ما اطلب . فقبل اقتراحي بتمام الارتياح ، ودعانى الى مرافقته فى زيارة حضراتهم وزارهم جميعاً ومنهم المرحوم بطرس باشا . وكان يوماً معدوداً تجلى فيه السرور العام والاخاء التام

وبعد ذلك وقع الاتفاق بين هؤلاء بزعامة المرحوم بطرس باشا وبين غبطة البطريرك بان يلغي المجلس الملى الذي كان سبباً فى أبعاده ولو مؤقتاً وتقوم مقامه لجنة ملية تتألف من أربعة لتحل محل المجلس في جميع اختصاصاته ووقع الاختيار على الاربعة الآتية اسماؤهم وهم (الداعي) وحنا بك باخوم ووهبه بك شلبي وبطرس بك يوسف وتسلمنا ادارة العمل واشتغلنا أكثر

من عشرة سنوات مع غبطة السيد البطريرك لم نر فى اثنائها معارضة فى امر ولا توقف في عمل بل كان متفقاً معنا تمام الاتفاق،وهو الذى كان يرأس الجلسات دون سواه

فرأت اللجنه ان تستفيد من هذا التسامح العظيم من غبطته بان تطلب من قداسته تأليف مجالس فرعية ملية بجميع الجهات الموجودة بها مطارنة واساقفة فلم يتردد قداسة البطريرك في اجابة طلبنا وصدرت أوامره الكريمة بتنفيذ تلك الفكرة ، والفت فعلا تلك المجالس بجميع المديريات والمحافظات ولم تزل باقية للآن سائرة فى عملها

هذه خلاصة مختصرة جداً في بيان مسألة نفى البطريرك الراحل ونيافة الانباء يؤانس مطران الاسكندرية ، اردت بذكرها خدمة للتاريخ واعلاناً للحقيقة

قلبني فهمى

سان مورتز فى ٢١ أغسطس سنة ١٩٢٧

ظلت الحالة في هدو واطمئنان بحسن سياسة هذه اللجنة الى ان قام فريق من الاقباط من الذين لا يرغبون فى السلام وعملوا اجمالة مساعي لدى الحكومة بضرورة اعادة انتخاب مجلس ملى جديد على طريقة المجلس الذي انحل وفعلا اجيبت طلباتهم ،وتم انتخاب المجلس المنشود وجلس على كراسيه وأخذ فى التشامخ والتعادي امام ذلك القديس الطاهر الانباء كيرلس البطريرك المتنيح فما احتملت نفسه العالية تلك الشمخة الكاذبة ،فأمر بطرد اعضاء المجلس جميعاً وقفل باب الديوان الذي كانوا يجتمعون فيه والتنبيه عليهم بعدم العودة للدار البطريركية ، وظلت الطائفة محرومة من وجود

هذا المجلس زمناً طويلاً ، وتعطل كثير من مصالح الرعية الخاضعة لنظامه
فأراد فريق من الاقباط ان يستعين بالمرحوم بطرس باشا فى حل هذا
الاشكال فقال لهم انا سحبت يدي ولا أريد من بعد الآن ان اتداخل
فى أى أمر له علاقة بالمجلس أو بالبطريرك فتوجهوا للسراي وشكوا امرهم
لصاحب السمو الخديوي ، وبثو ظلامتهم ، فكان جواب الخديوي ، انني
احترم هذا الشيخ احتراماً كلياً واعتقد فيه انه رجل بركة ومحبة فلا أريد
ان افعل شيئاً على غير رضاه ، وهو فى ايامه الاخيرة ، فرجع المشتكون
بخفى حنين ، وطال زمن الانتظار بدون جدوى ، وأخيراً قصدتنى هيئات
متعددة من الاقباط قائلين : بطرس باشا سحب يده ، والخديوي لم يقبل
عمل امر على غير رغبة البطريرك وحالة الطائفة اصبحت سيئة وتعطلت
مصالحها ، وعلى الخصوص الطلاق والزواج وما يتبعها ونحو ذلك ، والحوا
على ان اتداخل فى الامر حتى اجد حلا لهذه العقدة فتأثرت جداً مما
قالوه لى ، ولمست فعلا الضرر الحاصل بالجمهور . فوعدتهم بأني سأسعى جهد
المستطاع فى حل هذا الاشكال ، وفى اليوم الثانى قصدت دار المندوب
السامي ، وطلبت مقابلة اللورد كتشنر ، الذي كان اذ ذاك عميد الدولة
الانجليزية وعرضت عليه تفصيلات هذا الامر وقلت لجنابه ، ان هذا
الاشكال عجز فى حله المرحوم بطرس باشا وعجز فى حله جناب الخديوي
وكذلك هيئة الحكومة ، ولكن اعتقد ان الذى يحل هذا الاشكال هو
جناب اللورد كتشنر فأجابنى اللورد بكل بشاشة قائلا سيكون ظنك
محققاً فقدم لى مذكرة واشرح لي فيها وظيفة المجلس الملي ولماذا ضرد ،

واذكر الطريقة التى ترى انها اوفق لعودة تشكيله

وعليه قمت بجميع ما طلبه اللورد مني وبعد ان درس المذكرة التى قدمتها لجنابه ، قرر اعادة المجلس الملي بتعديل فى طريقة تخالف تشكيله الاصلى ، حيث رؤى ان يضم بين اعضائه فريق من الاكليروس

وأمر اللورد بادىء بدء ان يسير فى هـذه الطريق برضاء البطريرك فكلفني وكلف معي غبطة الانبا يوأنس مطران الاسكندرية سابقاً ، وبطريرك الكرازة المرقسية حالا بان نقابل من قبل فخامته السيد البطريرك ونعرض على غبطته ما استقر رأى فخامته عليه ، على انه كان مصمما اذا رفض البطريرك ، ان يمضي في طريقه من حيث تشكيل المجلس على أى حال . فقمنا بالمأمورية لدى غبطة البطريرك واقنعناه بضرورة القبول حتى يكون العمل معروفاً انه صادر عن رغبة البطريرك وليس من طريق آخر

فقبل غبطته ذلك بكل ارتياح وتحصلنا منه على خطاب بامضائه لفخامة اللورد بقبول ذلك المشروع لا بل وشكر اللورد على هذه العناية

فطربت لهذا النجاح الباهر فى تلك المأمورية التى ما قصدت من ورائها الا خدمة الجمهور وظللت اشتغل فى وضع نظام جديد لهيئة مجلس ملى جديد تحول أخيراً بحثه ونظره وترتيبه الى صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا الذى كان اذ ذاك وكيلا لوزارة الداخلية فى عهد وزارة محمد سعيد باشا . ولما كان قد تصادف اثناء القيام بهذا العمل ان دعانا السير ونجت حاكم السودان العام لحضور الاحتفال بافتتاح كلية غردون بالخرطوم صدرت لي اوامر من اللورد كتشنر بان اعتذر عن هذه الدعوى

وأظل مقيما بمصر حتى أباشر أمام مجلس شورى القوانين بحث مشروع المجاس الملى وصدور دكريتو بتنفيذه فصدعت للامر وحضرت لمجلس شورى القوانين أثناء المناقشة فى هذا الموضوع الى أن تمت المناقشة وصدر عنه الدكريتو اللازم لتنفيذه ، وقد لوحظ في وضع المشروع الجديد أن يكون من بين أعضاء المجاس الثلث من الاكليروس، وأن كل قرار يصدره المجلس يعد نافذاً حتى اذا كان لا يوافق عليه البطريرك ، ونص فيه أيضاً أن يتكون مجلس مخصوص برئاسة البطريرك وأعضاؤه المطارنة والاساقفة لبحث ايرادات ومصروفات جميع الاوقاف الخاصة بالاديرة من أى جهة كانت ومعرفة ما اذا كان السير على مقتضى شروط الواقفين ومتفق مع نظامات الحكومة ، ولكن للاسف لم يعقد هذا المجلس مرة واحدة ، ولم تراع مصلحة الاوقاف من حيث ضبطها وربطها بأي وجه من الوجوه بل ظلت منهبة لكل ذي نفوذ من الاكليروس، فاستمر المجلس قائماً زمنا طويلا حتى توفى البطريرك الى رحمة الله مبكياً عليه لانه كان مع ما هو عليه من التقاليد القديمة وعدم الميل لكل اصلاح جديد ، كان قديسا يحب الفقراء والمساكين ، يعطف عليهم بكل ما يملك ، متواضعاً متقشفاً ، عزيز النفس كبير الانفة حتى انى أعلم أن المرحوم بطرس باشا كتب اليه مرة خطابا يطلب فيه منه عمل بعض اجراءات كانت لا تتفق مع ارادة البطريرك ، فرد عليه جنابه بعبارة حررها بقامه ذاتياً فى أعلى خطاب المرحوم بطرس باشا وهاك نصها

« عرضت على مسامعنا عريضتكم ولا نوافقكم على ما جاء فيها . . .

كيرلس »

هذا ما يدلك إن التواضع الكبير كان مقروناً بعظمة وأنفة يستخدمها عند اللزوم، والرجل كان حافظاً لمركزه وكرامته بأكثر ما يمكن فكان يرسل مندوباً ينوب عنه فى كل احتفال يدعى اليه ؟

المتحف القبطى

نبذة تاريخية عن تأسيسه

وان كانت فكرة جمع الآثار القبطية من مخطوطات وآثار وتحف — أو حفظها ، قد بدأت حوالي منتصف القرن التاسع عشر ، الا ان روح الحياة لم تدب فى هذا المشروع الاحوالى سنة ١٨٨٢ حيث ادخلت الكنائس القبطية الاثرية — تحت اشراف لجنة حفظ الآثار العربية — وقد ساعد على ذلك هيمنة نظارة الاشغال العمومية ، واشرافها على الآثار المصرية فى ذلك العهد أى في عهد نظارة المرحوم حسين فخري باشا لها الذي كان اعظم معضد لهذه الحركة وأكبر مهتم بها

وقد بدأت الحركة الفعالة للتنفيذ فى سنة ١٨٩٨ كما يتضح ذلك من محضر الجلسة نمرة ٨٠ من جلسات لجنة حفظ الآثار العربية التابعة لوزارة الاوقاف العمومية المنعقدة فى ٤ يناير من السنة المذكورة حيث تلا حضرة هرتس بك الخطاب المسطرة صورته بعد . المحرر لصاحب العطوفة حسين فخري باشا :

« افندم — اعرض لعطوفتكم ، انى قد شاهدت مراراً فى المحلات الاثرية القبطية الجاري زيارتها ، بعض قطع منقوشة ، أو الواح مشغولة وتيجان وأعمدة وأشياء أخرى أيضاً ملقاة بالاتربة وربما توجد قطع متخلفة من اسقف أو أبواب مطعمة وغيرها متروكة ومهملة بالحالة المذكورة

فى الـكنائس المتخربة ، وكل هذه الاصناف ليس لها فائدة في الجهات الموجودة بها ويؤول أمرها قريباً الى الضياع ، واعدام اثرها بالـكليه ، كما هو جاري فى جميع الاشياء المتروكه ، وبمـا ان المشروع الذي وضع لوقاية الآثار القبطية من التخريب (الذي قد نجح معظمه بمساعي عطوفتـكم) سيجعلها بمثابة الآثار العربية تحت عناية اللجنة ، وبما ان مأمورية اللجنة نحو الصناعة القبطية المجهولة لاتتم الا فى وقت توجيه الاهتمام الى الاجزاء المتخلفة من هذه الصناعة ، كما حصل فى الاجزاء التابعة للانتيكخانة العربية فلاجل الوصول الى هذا الغرض اروم من عطوفتكم الاشتراك مع اللجنة فى مخابرة بطريكخانة الاقباط باستصدارها اوامرها الى وكلاء كنائس القاهرة وضواحيها ، بتسليم كل الاصناف الموجودة فى الآثار ، أوفى الاماكن المتخربة ولم يكن لها لزوم ، الى حضرة نخله بك الباراتي بناء على ارشادى بما ان غبطة بطريرك الاقباط الذي تشرفت بمقابلته صحبة رفيقنا حضرة البك المومى اليه ، وافق عليه وكلف البك المثني عنه ، انتخاب جناح من بناء كنيسة المعلقة يكون مناسباً لايداع الانتيكات فيه . واجراء قيدها بدفتر خصوصي ، وبذلك تكون المبادىء الاولى للانتيكخانة القبطيه، التى اعدادها ضرورى ، ومن شؤون اللجنة النظر فيه ، لان الصناعتين العربية والقبطية قد سارتا مدة من الزمن فى سبيل واحد ، وعلم الآثار لم يزل في مبادىء مباحثه لايضاح كيفية سيرهما فى آن واحد ، ويكون من الوجوب علينا اجراء المقتضى لوصول علمائه الى التسهيلات المقتضية للمباحث المتعلقة بهما ، فاحسن طريقة لمساعدتهم ، التى يمكننا اتخاذها ، هى جمع كل ما تخلف

من هذين العصرين المحدثين بغاية الاعتناء ، الصناعة العربية في متحفها ، والصناعة القبطية فى متحفها ، وعليه أرجو قبول عظيم الاحترام افندم

ولقد وافق سعادة نخرى باشا على ما رآه حضرة هرتس بك ووعد بعمل الاجراءات اللازمة لدى غبطة بطريرك الاقباط؟ «هرتس»

وفعلا تقابل عقب ذلك عطوفة نخرى باشا بغبطة البطريرك ، واتفق معه على جمع هذه الآثار والحرص عليها من الضياع ، ووضعها فى جناح مخصوص بكنيسة المعلقة ، وهي الدار الموجودة فيها الآن ، وقد أصدر غبطة البطريرك أوامره للمرحوم نخله بك الباراتى بتنفيذ ذلك

ظلت الحالة سائرة فى هذا الطريق بغاية النجاح الى ان توفى الى رحمة الله تعالى المرحوم نخله بك الباراتى فاختار غبطة السيد البطريرك الراحل سعادة مرقص سميكه باشا خلفاً للمرحوم نخله بك الباراتى وكان احسن اختيار لان الباشا المومى اليه كدّ وجدّ وواصل العمل بهمة لا تعرف الملل فى تقدم هذا المعهد وتوصل بمساعيه لدى الكنائس والاديرة لجمع الشارد من الاثارات القيمة وكان غبطة الحبر الاكبر البطريرك معضداً لكل مطالبه رغبة منه فى رفع شأن هذا المتحف . ومما يوجب الغبطة والسرور ان جلالة مولانا الملك المعظم ادام الله بقاءه رمق هذا المتحف بعين رعايته فضلا عن المساعدات المالية التى امدها لترقيته امر بان يكون هذا المتحف تحت رقابة الحكومة مشمولا بمساعدتها حتى يكون فى صف الانتكخانة المصرية ودار الآثار العربية فندعو الله ان يديم بقاء جلالة مولانا الملك المحبوب زخراً للبلاد ممتعاً بولي عهده الكريم وسائر انجاله الكرام

الاوقاف بين ادارة ونظارة

فى الجمعية التشريعية

وفى عهده علت الشكوى من الفوضى الحاصلة فى ادارة الاوقاف العمومية ، فلأجل حماية هذه المصلحة الخيرية العامة من التلاعب ، ورفع الشكاوى ، أمر اللورد كتشنر ، الذي كان مندوباً سامياً وقتها ، بتشكيل نظارة تدير حركة الاوقاف حتى تكون تحت رقابة الحكومة — كذلك رأى أيضاً أن حالة البلاد الزراعيه تستدعي انشاء نظارة للزراعة ، فعلا تم تشكيل النظارتين فى تاريخ واحد فلما عرضت على هيئة الجمعية التشريعية ميزانيتيهما مرت ميزانية نظارة الزراعة بدون معارضة ، وعندما عرضت ميزانية نظارة الاوقاف ، وقف المرحوم سعد زغلول باشا معارضاً في ان تكون مصلحة الاوقاف نظارة ومطالباً بأعادتها ادارة كما كانت ، ولما كنت رئيساً للجنة الميزانية بالجمعية التشريعية ، كان لابد لي من الكلام فقلت مامعناه

انى آسف شديد الاسف ان اسمع من سعد زغلول باشا هذا الاعتراض وهو أعلم الناس بما وصلت اليه ادارة الاوقاف من الفساد ، وضياع حقوق الفقراء ، والتلاعب في ايراداتها مخالفة لنص الواقفين ، والآن ، وقد اراد الله ان يعمل لها نظارة ، تحميها وتحمي اموالها من التلاعب والفوضى وتقيم فيها ميزان العدل ، فيقوم الباشا ويطالب بأعادة تلك الحالة السيئة التى شكا منها طوب الارض والسماء ، مع ان هذه النظارة تشمل اعمالا خيرية محض

فالواجب الانساني على كل منا ان يدافع عن كيانها ، ويحرص على نظامها وأظن أن كل حضرات زملائى الحاضرين فى هذا الاجتماع يوافقوننى على هذا الرأي - فبالاجماع قابلت الجمعية هذا الرأي بالتصفيق الشديد والارتياح العظيم

وعند ارفضاض الجلسة ضحك معي المرحوم سعد باشا وقال لي لقد كسبت القضية ياقلينى باشا فأجبته على الفور « اني على يقين ياباشا ان ضميرك مرتاح لذلك »



جيش الاحتلال

والدخوليات

ومن الحوادث التى حصلت فى وقته أيضاً ، أن دعاني يوماً من الايام المستر متشل انس ، وكيل المالية وقتها . وقال لي . لماذا تأخذ عوائد على جيش الاحتلال ولا تأخذ عوائد على الجيش المصرى ؟ فقلت له ، انا اسير طبق القوانين ، وعندى دكريتو بذلك ، فان اردت أن تعفى جيش الاحتلال فاسع لاستصدار دكريتو : فقال لى ، كلامى يكفى ، فقلت له ، كلامك ليس دكريتو فقال لى ، اذاً نحن غير متفقين مع بعضنا فقلت له نعم ، لانك تريد أن تخالف القانون ، وأنا اريد التمسك بالقانون ، فغضب ورفع الامر الى السير غورست الذى كان آنئذ مستشاراً مالياً فضحك منه كثيراً وقال له ، الحق بيد قليني باشا . وأخيراً دعاني السير غورست وقال لي ، لماذا اغضبت متشل انس ؟ فقلت له ، هو يريد ان اسير مخالفاً للقانون ، وانا وظيفتى الحارس الامين على القانون . فقال نعم ، الحق بيدك . وانا افهمته ذلك ، ولكن نريد حلا لهذه المسألة بدون الالتجاء الى دكريتو . فقلت له ، نعم يمكن وجود طريقة : الحكومة المصرية تدفع لجيش الاحتلال مبلغاً سنويا على سبيل الاعانة ، فاذا كان جيش الاحتلال يتنازل عن الفى

جنيه من المقرر اعانة له من الحكومة فى نظير معافاته من عوائد الدخولية يمكننا ان نكتفي بقرار وزاري فى هذا الموضوع و ننفذ رغبة المستر متشل إنس ، فأعجبه هذا الحل كثيراً وعمل به

طائفة الكيالين

ومن المسائل أيضاً التى حدثت فى ذلك العهد ، انه كانت توجد طائفة شريرة جداً . تغتال حقوق البائع الشارى ، وهي طائفة الكيالين ، فبناء على التماس مجلس شورى القوانين ، قد أجريت استبدال الكيل بالوزن ، بعد أن عملنا معدلات دقيقة — فشكى الكيالون شكاوى عديدة عن ذلك ، فلكي أسترضاهم ، استخدمتهم كشيالين ينقلون الغلال من المراكب ويضعونها على الموازين ، ويأخذون ذات الاجرة التى كانوا يتقاضونها على الكيل ؛ فامتنعت شكواهم وانتظم العمل ، فعز هذا الامر على المستر متشل انس وكيل المالية — الذي قلت انه كان رجلا شريراً ويسعى للشر أينما وجد — فرفع تقريراً فى حق لفخامة اللورد كرومر ، وقال فيه ان قليني باشا أصبح ذا نفوذ يخشى من عواقبه لانى أرى فيه خطراً جسيما . حيث كلمة منه قضت على فئة الكيالين بالخضوع والاستكانة خوفاً من تأثيره ، مع أن تلك الفئة مشهورة انها فئة شريرة جداً ولا تقبل الخضوع لأي أمر حكومي ، فالفت نظر فخامة اللورد لذلك

وكان جناب اللورد رجلا حكيما ، بعيد النظر فدعاه وقال له بدلا من ان تشكر موظفاً عمل بحسن سياسته على اسكات الفتنة وتنظيم العمل ، تهجم عليه بهذه الالفاظ الدالة على قصر النظر ؟ أنا مرتاح جداً لما فعله قليني باشا ، وقد كتبت له جواباً أشكره على ذلك

الرتب والنياشين

وكان يعزى للخديوى انه يتصرف فى الرتب والنياشين تصرفاً واسعاً حتى ضاعت قيمتها ، واصبحت متداولة بايدى الذين لا يستحقونها ، فغضب لذلك اللورد كتشنر ، واوعز للخديوى بان الرتب والنياشين جعلت مكافآت لمن يقوم بأعمال ممتازة ، وعليه فهو يشير عليه بالكف عن اعطاء رتب ونياشين . فقال له الخديوى ، ان مسألة الرتب والنياشين حق خاص بى فقال اللورد ، انا بلغت سموكم أرادة الدولة الانجليزية ، فان كنتم تخالفونها عرفوني ، فعند ذلك رأى الخديوي ، أن من الحكمة أن يوافق اللورد على ماطلبه . وكف مدة طويلة عن إعطاء الرتب والنياشين

سمو الخديوي عباس والخلافة

وكان سمو الخديوي عباس شغوفاً بأن يكون يوماً من الأيام ، الخليفة الأعظم للمسلمين ، واستخدم لهذا الغرض جملة وسائل ، منها استخدام



(حسين رشدي باشا)

نفوذ مسامي الشام والأناضول ، وصرف مبالغ طائلة فى هذا القبيل ، وكان أول من دفعه لهذه الفكرة الشيخ محمد عبده ، ولكنه بعد جهاد طويل ، خاب أمله ولم ينجح فى قصده ، وترتب على ذلك ، ان الباب العالي علم بكل وسائله ، فأراد التخلص منه ، وافتكر انه كان حصل شبه اتفاق بين السلطنة العثمانية واللورد كتشنر ممثل الدولة الانجليزية . عن عزل الخديوي ، وتعيين البرنس حليم ، الذي كان الصدر الاعظم للسلطنة ، خديوياً لمصر ، ولكن تواجدت عراقيل فى الطريق فلم يتم الامر ، ولما كانت للخديوي عادة سنوية ان يطوف بأوروبا وتركيا ، نصح له بعض المقربين اليه بعدم زيارة تركيا فى ذلك العام ، حيث أصبح مكروهاً فيها ويخشى على حياته . فلم يصغ لهذه النصيحة ، وقام فعلا اليها كعادته ، وفى اثناء زيارته فى يوم من الأيام للباب العالى ، أطلق عليه الرصاص وهو خارج من السراي ، فأصابته جملة إصابات خطرة ، ولكنه نجا من الموت بعد علاج طويل ، وقام بعد ذلك لأوروبا كعادته ثم تصادف اعلان الحرب الكبرى فأظهر ضلعاً كبيراً لألمانيا وتركيا ضد فرنسا وانجلترا ، مما أوجب كدر الانجليز كدراً كبيراً الذي كانت من نتائجه خلع الخديوي ، وكان ذلك فى عهد وزارة المرحوم حسين رشدي باشا الذي كان فى آن واحد قائم مقام الخديوى ، وأوعز مراراً للجناب الخديوى عند بداءة الحرب بأن يعود الى مصر حالا ويحتفظ بمركزه مبتعداً عن معمعة الحرب فى أوروبا ودسائسها فلم يصغ لنصائحه فكان ما كان

* * *

وبهذه المناسبة نذكر ان المرحوم حسين رشدى باشا كان اقدر رجل فى علمي السياسة والقانون وكان رأيه حجة فى كل معضلة مع ما تحلى به من الصفات ، فأنه كان رقيقاً متواضعاً ، قل ان يوجد نظيره الآن ، وهو الذى رأس لجنة الدستور فى عهد جلالة الملك فؤاد الاول ، وكانت آراؤه سديدة جداً فيعود اكبر الفضل له فى نجاح تلك اللجنة التى كنت من اعضائها

* * *

وبعد ذلك تولى الحكم المغفور له السلطان حسين كامل ، وكانت ايامه فى الحكم معدودة ، وحصل انه عندما قامت نار الحرب العالمية ، ان وشى للحلفاء فى حق سمو البرنس عمر طوسون ، انه معاد لهم ، متآمر مع مراكش وتونس والجزائر ضد الحلفاء ، وانه يمدهم بالاموال والاسلحة ، وكنت اذ ذاك انا ايضاً بأوروبا ، فلما عزمنا على المجيء لمصر ، كان سبقني سمو البرنس عمر لمارسيليا ، وانا وآخرين من المصريين لحقناه بمارسيليا على نية قيامنا جميعاً لمصر ولكن بمجرد وصول سمو البرنس عمر لمرسيليا حجزته السلطة العسكرية ، وامرته بعدم الرحيل الى مصر ، فلما وصلت انا الى مارسيليا ، عدته لما بيني وبين سموه من الصداقة ، فرد لى الزيارة بالفندق الذى كنت نازلا فيه ، ولما كان سموه محاطاً بجملة جواسيس ، فقد اتخذوا من هذه الزيارة ، تضامنى معه فيما نسب لسموه ، فصدرت لى انا اوامر اخرى من البوليس بعدم مبارحتى لمارسيليا ، وعدم عودتي الى مصر . فهالني هذا الامر جداً من تلك المعاملة التى لم اعرف لها من سبب



﴿ الامير عمر طوسون ﴾

فتظلمت لرئيس الجمهورية الفرنساوية ، ولوزير خارجيتها ، وكان اذ ذاك المسيو ديلكاسيه ، وكنت اعرفه شخصياً ، كما تظلمت للورد كتشنر الذي كان وقتها وزيراً لحربية بريطانيا وبلغت المرحوم حسين رشدى باشا الذى كان رئيس الحكومة المصرية وقتها ، وبعد زمن اعطى لى الاذن بالسفر الى مصر ، فسررت كثيراً لحل هذا الاشكال ، ولكن سرورى لم يدم طويلا ، اذ بمجرد ركوبى الباخرة ،عاد الى نحو نصف الليل رئيس البوليس السري وامرنى بالنزول منها واخذنى فى اتوموبيل مسلح وأخبرني انه صدرت اوامر جديدة تخالف التصريح الذى اعطى لى وقال لي ، أى الفنادق تريد السكنى فيها ، فقلت له الفندق الذى يقيم فيه سمو البرنس ، فقال لى انصحك انى لاتفعل ذلك ،لان فى هذا الامر صعوبة ضد صالحك فقلت له ، انا متهم بذات التهمة المتهم بها سمو البرنس ، فلاداعي لاتمرادى فى السكنى بعيداً عن أى انسان يسليني على حالي . فما يجرى عليه يجرى علي والامر لله ، وعلى ذلك سار بنا الاتومبيل وأنزلني فى دائرة الفندق الذي كان به سمو البرنس ،وفي الصباح دهش سموه واندهاشاً كبيراً لما رآنى فقصصت لسموه ماجرى ،فتكدر جداً ، ومن جهتي ، عدت فكررت الشكوى حتى صرفت على التلغرافات التى أرسلتها لهذا الغرض كل ما كان معى . وبعد مدة مضت كنا محاطين فيها بالجواسيس أينما ذهبنا — صدرت أوامر جديدة بالسماح لي بالعودة الى مصر . وفى هذه الدفعة عدت بدون معارضة . وعندما وصلت الى مصر ، أراد البرنس حسين ، (السلطان حسين) مقابلتي ليستعلم عن حالة البرنس عمر ، فترددت بل رفضت المقابلة خوفة كونه يمسني ضرر جديد

خلاف الضرر الذي مسني بسبب البرنس عمر ، وبعد أن اطمأننت على الحالة تشرفت بمقابلة سموه فعاتبني على التأخير فعرضت لعظمته السبب ، وأخيراً قال لي ، ماذا ترى في حل مشكلة البرنس عمر فقلت ان سمو البرنس يعلق كل آماله على سموكم ويعتبرك كبير العائلة ، ويترك لك الامر في خلاصه من هذه الورطة ، فقال لي ، اني فعلت كل ما أستطيع ، ولكن لم تزل العقبات أمامي — فقلت له هل استغثت باللورد كتشنر ، أنا أعرف أنه ذو همة عالية ، ومروءة كبرى ولو التجأت اليه لأجاب طلبك ، فقال لي هذا آخر خرطوش عندي ، فأخشى أن أستعمله الآن فيخيب ، ولكني أبقيه للفرصة المناسبة، وتحدثنا أخيراً في أحوال أخرى واستأذنته وانصرفت

وظل البرنس يجاهد وساعده على ذلك توليته العرش المصري وحينئذاك أمكنه نجاة سمو البرنس عمر من موقفه الذى كان فيه ، وحضر لمصر معززاً مكرماً

وهذه حسنة من حسنات المغفور له السلطان حسين ، وسنأتي على صفاته وأعماله جملة وبياناً عند ذكر تاريخه

البرنسس نازلي هانم فاضل

والسلطان عبد الحميد

ومن الحوادث التي حصلت في زمن سموه ، أن البرنسيس نازلي هانم فاضل وهي البرنسيسة الوحيدة التي كان لها صالون تقابل فيه رجال السياسة والوزراء وكبار القوم وكانت ذكية جداً وملمة بالسياسة العامة في العالم وغيورة جداً على مصالح مصر وتركيا بنوع خاص — ان هذه البرنسيسة ترجمت كتاباً للمرحوم مصطفى فاضل باشا والدها ضد مظالم السلطان عبد الحميد وتصرفاته المخزية لتركيا ، وطبعته فغضب لذلك السلطان المشار اليه وطلب من سمو الخديوي أن يسترضاها بكل ما لديه من الوسائل مع جمع الكتاب وارساله لجلالته ففعل سمو الخديوى برغبة السلطان ، وكانت دائماً وابداً تذم تصرفاته وتعيب عليه جميع اعماله ، وأخيراً دعاها جلالته لاستانبول ، فنصحها جميع اصحابها — وأنا منهم — خوفاً عليها فلم تسمع النصيحة ولبت الطلب وذهبت للاستانة ، ولكنها احتاطت لذلك كل الاحتياط فبمجرد وصولها الاستانة ، ذهبت مباشرة لدار السفير البريطاني ونزلت عليه ضيفة كريمة ، وفي اليوم التالي لوصولها توجهت للسراي السلطانية وكان بصحبتها مندوب من قبل السفير ، فمجرد ما علم بذلك جلالة السلطان قابلها احسن مقابلة ، وانعم عليها بكثير من الهدايا والعطايا ونحو ذلك ، وعادت معززة مكرمة الى مصر ، فتوجهت لزيارتها والسلام عليها ، فوجدت لهجتها

قد تغيرت نحو السلطان ، وكان كل كلامها نحوه بالمديح والتعظيم ، فقلت لها سبحان من يغير ولا يتغير ، ماهذه لهجة كلامك قبل توجهك للاستانة فقالت أجاوبك عن سبب ذلك في الحال — وامرت احد توابعها ان تحضر صندوقاً في حجرة نومها وقالت (وقد فتحته أمامي وفيه ما يبهر الأبصار من جواهر كريمة ثمينة جداً من لآلىء وماس ونحو ذلك شيئاً كثيراً) ياحبيبي هذا ما أوجب تغيير لهجتي نحو جلالة مولانا الخليفة ، فضحكت كثيراً

ومن نوادرها الغريبة انه كان عرض عليها من قبل السراي ان تتزوج بأحد الوزراء المشهورين وكان المرحوم فخري باشا فرفضت، وعرض عليها ان تتزوج بأحد البرنسات فرفضت ايضاً ،وأخيراً عملت سياحة وفي اثنائها عرجت على تونس فأعجبها شاب تونسي اسمه بوحاجب ، فتزوجت به في الحال ، وهذا الشاب كان نجل قاضي المحكمة الشرعية بتونس . ثم عادت لمصر فقالت لي ماذا يقولون عن زواجي بالتونسي بعد أن رفضت وزيراً وأميراً ، فقلت يابرنسيسة يقولون عنك. انك مجنونه ، فضحكت كثيراً وقالت لي ما أعظم سروري لسماع ذلك . . . . . . فاندهشت لسرعة الخاطر وعظيم الذكاء اللذين اسكتتني بهما

وكان لها جملة نوادر كثيرة من هذا القبيل وكانت تحب ركوب الخيل كما كانت جميلة الطلعة ، حلوة الحديث ، لا يشبع من مجلسها ، وتحب كبار القوم والعلماء ، ورجال السياسة ، محترمة عند الجميع ، وكان اللورد كرومر يعزها جداً ويحب زيارتها كثيراً

الانعام برتبة روملى بلر بك

ومن المسائل المعروفة التي حصلت فى عهده أنه عند ما توفى المرحوم بطرس باشا غالي ، استقر رأى سموه مع اللورد كتشنر عند تعيينه مندوباً سامياً لدولة بريطانيا بمصر ، ان الذى يكون خلفاً للمرحوم بطرس باشا هو (قليني باشا) وفعلا أرسل سمو الخديوى وفداً يهنئنى بذلك وكان هذا الوفد مؤلفاً من الشيخ علي يوسف ، واسماعيل باشا أباظه وشوقى بك أمير الشعراء وحامد بك العلايلى ، كما أن اللورد أرسل لي تهنئة عن ذلك عن يد أحد موظفي فخامته

كل ذلك حصل ولم يكن لي مسعى فيه ولا علم به سابق — فقدرت ثقتهم بى تقديراً عظيما وقدمت التشكرات اللازمة ولكن لم يرق هـذا العمل فى نظر رئيس النظار وقتها فعمل جهد المستطاع لعدم نجاح هذا الامر . فقال للورد كتشنر عني ، انى رجل الخديوى ، واني سأعمل كل ما يرضي الخديوى ، وتلك عقبة فى طريقنا — ثم قال للخديوى عني ، انى رجل كتشنر وسأعمل كل ما يرضي رغبات كتشنر ، وتلك عقبة أمامنا — وزاد على قوله هـذه العبارة « اني لا أنكر ان قليني باشا أقدر اللائقين لهذا المنصب وأعظمهم نفوذاً ونشاطاً ، ولكن وآسفاه لقد أبديت ما أعرفه فى أمياله حتى لا تلومونى فيما بعد ، فكان ذلك موجب لانقياد الجهتين لفكرته . وصرف النظر عن اتمام ما وعدنا به من تعيينى وزيراً

ونظراً لكون الجهتين كانتا مرتبطتين بتهنئتهما لي ، ففكرتا فى منحي

رتبة روملي بلر بك وهي أكبر رتبة في الحكومة المصرية كانت لا تعطى الا لكبير الوزراء — هذه هي مسألة الانعام برتبة روملي بلر بك

وفى عهد كل من المغفور له الخديوى توفيق وسمو الخديوى عباس ظهر من الباشوات البارزين ، رشدى باشا — سعد زغلول باشا — بطرس باشا — فخري باشا — ابراهيم فؤاد باشا — ثروت باشا — عدلى باشا — صدقي باشا ، محمد محمود باشا ، يحي باشا

رشدي باشا

فرشدى باشا ، كان أكبرهم علماً ، وأعظمهم نشاطاً ، بعيد النظر ، قوي الحجة ، نزيه جداً ، متواضع ومحبوب من الجميع ، وهو الذى كان قائم مقام خديوى حال انتشاب الحرب العالمية ، وفى عهده سمت الدولة الانجليزية لخلع الخديوى فحاول عبثاً أن يعالج هذه المسألة فلم ينجح ، ومع ذلك فقد خدم الخديوى خدمة جليلة فى حفظ أملاكه وأمواله بعد أن كانت الحكومة الانجليزية صممت على مصادرتها ، وقد تقلب على جملة وزارات وكان فى آخر حياته رئيساً لمجلس الشيوخ وقد توفى الى رحمة الله تعالى فخسرت البلاد بوفاته خسارة لا تعوض وقد بكاه الجميع بكاء مراً

زغلول باشا

أمره أشهر من أن يذكر — فقد كان شهماً هماماً ، وشخصية بارزة ، وخطيباً لا يعادله خطيب فى البلاد وهو الذي قاد الحركة الوطنية بما هو



سعد زغلول باشا

عن المقتطف

معروف عند الجميع وكتب الكتاب عنه بما هو جدير به وقد توفى لرحمة مولاه

بطرس غالى باشا

كان رجلا عظيما ، متقد الفكر ، قوي الحجة ، قادراً على ادارة المصلحة التي يتولاها ، وكان محبوباً عند الاقباط وقد تملد فى آخر حياته رئاسة مجلس النظار ولم يدم فيها طويلا حيث اغتالته المنية بيد مجرم أثيم ، وقد تشعبت الاقاويل على من تواطأوا على فقد حياته

فخري باشا

كان رجلا عالماً فى علم القانون ، طيب القلب ، واسطة خير ، لا يسعى في ضرر أي انسان ، بل يسعى ما استطاع فى عمل الخير وخدمة الانسانية وهو الذي شكل المحاكم الاهلية ، وتولى وزارة الحقانية مراراً ، وأحسن ادارتها ، كما أنه تقلد في جملة دفعات عند سفر سمو الخديوي لاوروبا منصب قائم مقام خديوي ، وقد قام به أحسن قيام ، وهو أول من وضع أساس المتحف القبطي ، وقد توفاه الله مأسوفاً عليه من الجميع وخلف ولدين أحدهما معالى محمود فخرى باشا سفير مصر الآن بباريس وهو فى طباعه وصفاته كأبيه محبوباً من الجميع

ابراهيم فؤاد باشا

كان عالماً علامة فى علم القانون ، بسيطاً جداً ، بعيداً عن المكر والخداع طيب القلب ، وقد تولى نظارة الحقانية مراراً ، وقد توفى لرحمة الله

ثروت باشا

كان بعيد النظر جداً ، ثابت الفكر ، ذا دراية بالادارة من الطبقة الاولى – سياسياً كبيراً جداً احسن من جميع من تقدموه فى ذلك وكان نشيطا للغاية ، فكاكاً للمعضلات ، وله مواقف عظيمة جداً فى البرلمان والجمعية التشريعية ، تشهد له بطول الباع ، وهو الذي تولى المفاوضات ببلاد الانجليز ، لعمل معاهدة ، وعلى يديه نالت مصر استقلالها وبواسطة مجهوداته مع اللورد اللنبي تحصلت البلاد على تصريح ٢٨ فبراير الذي اعطى البلاد استقلالها ومن مقتضاه دعي السلطان بالملك – وتعينت المفوضيات المصرية فى سائر أوروبا ، وعمل الدستور وتشكل البرلمان وكان يعاونه فى ذلك صدقى باشا والفضل كل الفضل فى هذا الامر يعود الى ثروت باشا واللورد اللنبى وصدقي باشا وقد توفي الى رحمة مولاه مبكياً عليه من الجميع

عدلى باشا

رجل رزين ، متأن ، بعيد النظر ، شلبي المزاج ، يحب بلاده ، تولى



ثروت باشا

عن المقتطف



« عدلي يكن باشا »



﴿ محمد محمود باشا ﴾



حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقي باشا رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية والمالية

رئاسة مجلس الوزراء ثلاث دفعات واظهر فيها حسن السياسة بما اوجب الثناء عليه وآخر مركز شغله كان رئيساً لمجلس الشيوخ

صدقى باشا

رجل مفرد فى فن الاقتصاد وحسن الادارة ، بعيد النظر ، دمث الاخلاق ، سياسي عظيم جداً مشهود له بطول الباع فى كل امر تولاه ، وهو الذي يدير دفة البلاد الآن ، كثير النشاط كبير الذكاء ، خطيب مفوه

محمد محمود باشا

رجل تحلى بجميع المواهب الحكومية شريف النفس شديد البطش عند الاقتضاء متفان في حب بلاده وخدمة وطنه حسن العلاقة مع الدولة الانجليزية ، محترم الجانب

توفيق نسيم باشا

رئيس ديوان صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول الآن . اجتمعت فيه الاخلاق الحسنة والنزاهه باكملها متضلع فى علم القانون والادارة محب للناس ، بعيد عن الشر ، هادىء الطباع لا يتكلم الا اذا سئل ، كثير العمل ، وقد تولى مراراً مناصب وزارية ودفعتين رئاسة الوزارة ، فبرهن على مقدرة عالية ، وبعد نظر ، وكثير من الكياسة

يحيي باشا ابراهيم

رجل محب للسلام ، بعيد عن الدس ، متضلع في علم القانون ، اشتغل زمناً طويلا بالمحاكم وبرهن على نزاهة عالية ، وعين وزيراً مراراً ، وتولى رئاسة الوزارة وكان فيها مثال الصدق والامانة والتواضع

زيور باشا

رجل متضلع فى اللغة الفرنساوية لدرجة انه حينما يتكلم بالعربيـة تتغلب عليه الفرنساويه فيترجمها بها وهو قدير متضلع فى الفنون والمعارف سريع الخاطر كثير النشاط ، أقرب الى العقيدة المسيحية من العقيدة الاسلاميه (اردت بهذا ان اتغالى فى القول بعيد عن التعصب بالمرة) يتمثل فى شخصه بالصراحة با كملها جريء فى جميع أعماله بعيد عن حب التظاهر يميل الى معاشرة الاجانب ميلا غريزياً حلو الحديث يميل الى الآلات الموسيقية والاغاني الافرنجيـة كثيراً محبوباً فى الاجتماعات الافرنجية بحديثه اللطيف

وقد تقلد الوزارة مراراً واخيراً تقلد رئاسة الوزارة وكان على اتفاق تام فى سياسته مع الانجليز

مدحت يكن باشا

رجل جميل الشمائل ، وفيّ في عشرته لاخوانه ، بعيد النظر عاقل رزين عالي النفس مع التواضع ، يميل بطبيعته الى الاشتغال دائماً بالاعمال المالية ، وهو ثري مشهور تقلد جملة مرات الوزارة تارة للخارجية وتارة للزراعة والآن هو رئيس بنك مصر وقد نال البنك في عهده شهرة عالية واعمالا موفقة يرجع الفضل فيها لسعادته وسعادة طلعت حرب باشا ومن عاونهما

* * *

ونذكر بهذه المناسبة ان أول من ايقظ الحركة الوطنية ونبه لها اذهان الامة هو المرحوم عرابى باشا ، كما سبق القول عنه ، وقد أخلفه المرحوم مصطفى باشا كامل الذي شكل الحزب الوطني وقاده للمطالبة بالاستقلال واقامة الدستور ، وكان شاباً نشيطاً جداً جريئاً للغاية ، خدم البلاد خدمات لاتنكر ، وهو الذي اوقد شعلة حب الوطن في اذهان الطلبة أولا ثم اهالى البلاد ثانياً ، وتمكن بمجهوداته ان جعل الامة كتلة واحدة ، تسير في نشاط وجراءة مطالبة بالاستقلال وايقظها من غفلتها بعد ثباتها العميق وبث في روحها جراءة كانت معدومة بالمرة ، فله فضل عظيم هو وخليفته محمد فريد على النهضة الوطنية مما تحفظه لهما البلاد على ممر السنين

وبهذه المناسبة نذكر هنا كلمة عن الاحزاب التى تشكلت في ذلك العهد وماقامت به من الاعمال — سبق نشرها بجريدة الاهرام الغراء رداً علي بعضهم تحت عنوان «للحقيقة والتاريخ»

للحقيقة والتاريخ

كلمة عن الاحزاب فى مصر

على ذكر ما نشرتموه بجريدتكم الغراء صباح اليوم بقلم حضرة الاستاذ الفاضل عبدالله افندي حسين فيما يختص بالاحزاب الثلاثة أحدها الحزب الوطني ومؤسسه المرحوم مصطفى باشا كامل والثانى حزب الاصلاح ومؤسسه المرحوم الشيخ علي يوسف ، والثالث حزب الامة ومؤسسوه جماعة من الاعيان برئاسة المرحوم حسن باشا عبدالرازق أرى اتماماً لما ذكرتموه أن أشرح لكم الاغراض التى من أجلها تشكلت تلك الاحزاب الثلاثة ولو أنها واضحة نوعا ما فى بروجرام كل حزب منها ــ وهذه الاحزاب الثلاثة كانت فى عصر سمو الخديوى عباس

فرئيس الحزب الوطني المرحوم مصطفى باشا كامل خلق بطبيعته غيور محبا لوطنه مجاهداً عظيما فى نوال البلاد استقلالها وادارة شؤونها دستوريا كما هو واضح ذلك فى بروجرام حزبه الذي ألفه وهو شاب لا يتجاوز الثمانية عشر عاماً

قلنا انه خلق بفطرته مغرم بحب الوطن وكل ما يرفع شأنه ، وقد ابتدأ وهو تلميذ فى المدرسة بتحرير جريدة دعاها « المدرسة » وظل يكتب فيها ما يؤيد مبادئه ويستميل اليه تلاميذ المدارس الذين انتهوا باعتناق مذهبه وظلوا يعضدونه فى أعماله وأقواله

ولما أن أنس من اخوانه الطلبة ذلك والتفوا كلهم حوله ابتدأ



(المغفور له مصطفى باشا كامل الرئيس الاول للحزب الوطني)

يخاطب الجمهور الذى ارتاح كثيراً لجهاده العظيم لخدمة مصالح الوطن فعندما تحقق من الجميع الميل الى مبادئه شكل الحزب الوطني ووضع له بروجراماً وهو الذى نشرتموه اليوم

وقد سر من عمله هذا الجناب الخديوي وعضده بماله ونفوذه ما استطاع وسار شوطاً عظيماً يجاهد جهاد الابطال بطلب استقلال البلاد ووضع دستور لها ، ولم يقعده أي أمر للوصول لهذه الغاية فظل يسافر الى أوروبا ويخطب فى الجماهير ويطالب حكومة انجلترا باستقلال البلاد وسحب الجيوش الانكليزية الخ الخ . . . واستعان بكثير من الدول الاخرى لهذه الغاية مثل فرنسا والمانيا وأمريكا وغيرها

ولكن لسوء تفاهم حصل بينه وبين سمو الخديوى امتنع سموه من تعضيده سواء كان مالياً أو أدبياً على ان هذا لم يقعده عن الاستمرار فى مجهوداته

فنهضة الامة بأسرها ويقظتها من سباتها ومعرفتها حقوقها والمطالبة بها يرجع الفضل فيها لمبادىء ومجهودات المرحوم مصطفى كامل باشا ، وحيث ان الاعتراف بالجميل أمر واجب رأيت من واجبي أعلان ذلك

حينئذ فكر الجناب الخديوي فى ايجاد حزب آخر امام هذا الحزب ، فاوعز لحضرة الاستاذ الفاضل المرحوم الشيخ على يوسف الذى كان اذ ذاك مقرباً لسموه وكان صاحب ومحرر جريدة المؤيد وهو من العلماء البارزين المشهود لهم بطول الباع والروية بتشكيل حزب يدعى حزب الاصلاح وقد صادفت هذه الفكرة قبولا عظيما عند المرحوم الشيخ علي

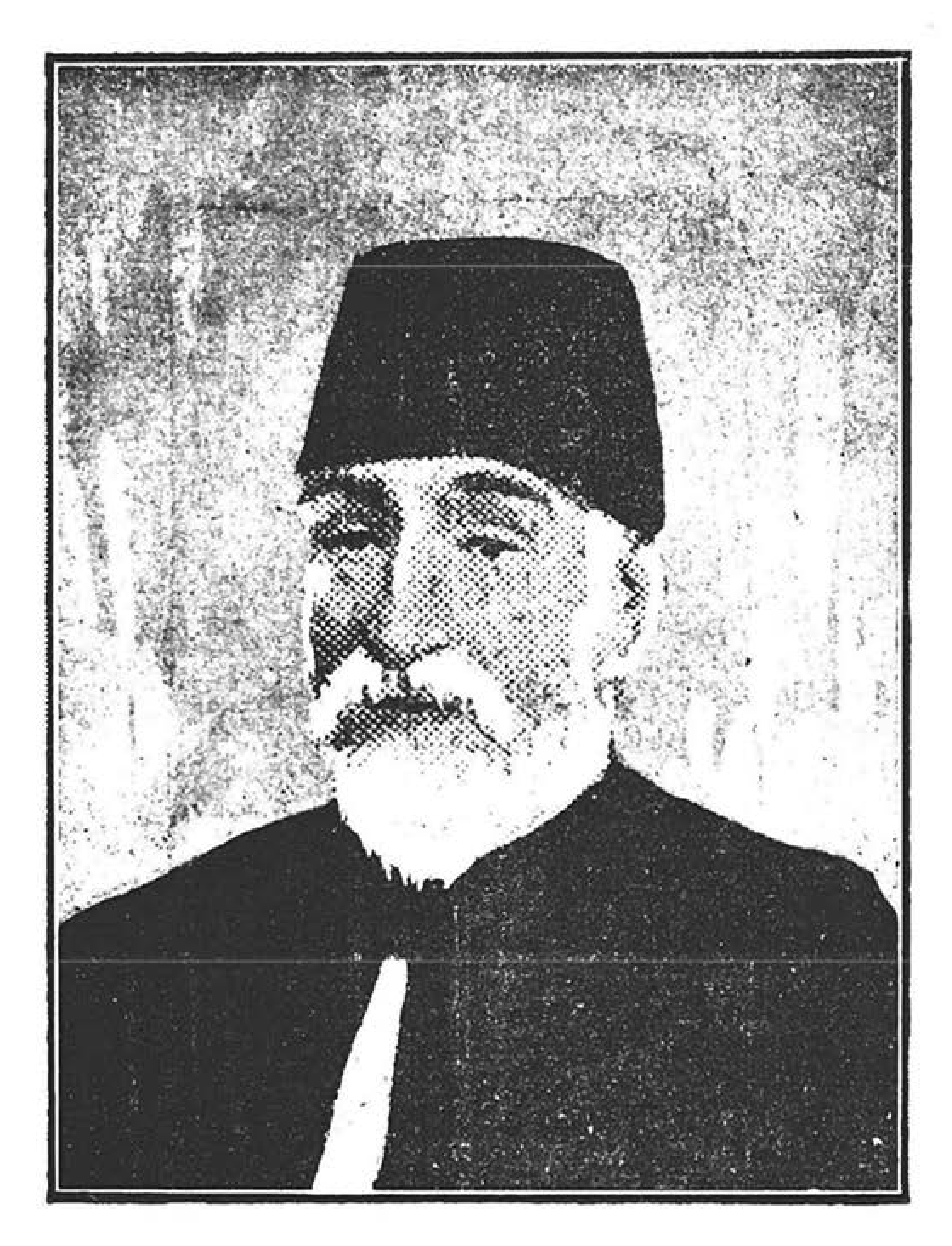
فقام بتشكيل حزب الاصلاح ووضع له البروجرام الذي نشرتموه بجريدة الاهرام الغراء اليوم

بعد ذلك رأى جناب اللورد كرومر ان السراي تسعى فى تكوين احزاب وظن ان الغرض الاول منها هو مناهضة اللورد واقتصارها على خدمة اغراض الخديوي ، فاشار على بعض اعيان البلاد الذين كانوا فى ذالك الوقت يخشون سطوة الخديوي بان يشكلوا حزباً ويدعونه حزب الامة، والغرض من هذا الحزب ان يكون ضماناً لخدمة مصالح الشعب ، فشكل أعيان البلاد هذا الحزب وأختاروا له رئيساً من بينهم هو المرحوم حسن باشا عبد الرازق ، واظن انه كان يضم كثيراً من الاعيان . اتذكر منهم المرحوم محمود سليمان باشا والمرحوم يحي باشا (والد سعادة امين يحي باشا) والشواربى باشا وكثير غيرهم ممن لم تحفظ ذاكرتي اسماؤهم ، وانشأوا له صحيفة تسمى الجريدة ،كان رئيس تحريرها سعادة الكاتب الكبير لطفى بك السيد ، وكانت هذه الصحيفة لسان حال الحزب كما ان جريدة المؤيد كانت لسان حال حزب الاصلاح وجريدة اللواء كانت لسان حال الحزب الوطني

ولما كانت الاسباب والاغراض التى دعت لتكوين هذه الاحزاب الثلاثة مجهولة فأردت خدمة للتاريخ وبياناً للحقيقة ان اشير اليها لايقاف الجمهور على الواقع م

الكونتيننتال فى ٢٤ مايو سنة ١٩٣١

وكذلك بمناسبة ذكرنا الحوادث التى حصلت فى عهد الولاة الثلاثة،



عمر لطفي باشا

نذكر ماقام به بعض امراء البيت المالك بطريق الاجمال فأقول أن لكل من أصحاب السمو الامراء الكرام البرنس عمر طوسون والبرنس محمد على والبرنس يوسف كمال والبرنس كمال الدين حسين، أعمالا مجيدة برهنوا بها على محبتهم للوطن ، فضلا عن الخدم الجليلة التي أدوها بأقوالهم وأعمالهم ودفاعهم الشديد عن مصلحة البلاد فى كل فرصة سنحت لهم مما يحفظه الشعب المصرى لسموهم بالذكر الجميل

في عهد

الخديوي اسماعيل ايضا

فى زمن الخديوى اسماعيل كانت وظيفة الحاكم العام للصعيد تتبادل بين ثلاثة من ذوات مصر هم سلطان باشا وقاسم باشا وعمر لطفي باشا . واتذكر انه فى عهد عمر لطفى باشا حين ما كان متقلداً تلك الوظيفة انه وقع فى غرام سيدة جميلة من اقليم بنى سويف وهي راقصة شهيرة تدعى المظ فولع بها ولعاً شديداً وكان وقتها يوجد فى عاصمة كل مديرية مأمور ضبطية لتلك العواصم ولما كان مأمور ضبطية بندر بنى سويف مبغوضاً من فئة من اهل البلدة دبروا حيلة شيطانية لخلاصهم منه وكتبوا عريضة باسماء مختلفة وقدموها لعمر لطفى باشا قالوا فيها : ان هذا الرجل واقع فى غرام السيدة المظ ودائماً يترك اشغاله ليتواجد معها للمسامرة الى آخر ماقالوه من هذا القبيل . فعندما تلا الباشا هذه العريضة ملأه الغضب

وحب الانتقام من شخص صغير ينازعه فى عشيقته فرفع تلغرافاً فى الحال الى الجناب الخديوي (اسماعيل) قال فيه : انني علمت من مصدر سري ان مأمور ضبطية بندر بني سويف هو جاسوس للبرنس حليم ويتبادل معه المكاتبات وان فى بقائه فى البلاد المصرية خطراً . ولما كان الخديوي لا يشك بصحة اقوال حاكم عظيم يشغل اكبر الوظائف اصدر امراً فى الحال تلغرافياً بارسال ذلك الموظف مكبلا بالحديد تحت الحفظ الى الليمان أعنى الى البحر الابيض بالسودان

والرجل مسكين فقد كان بريئاً من هذه التهمة وما يشعر الا وقوة عسكرية قبضت عليه فاندهش وكاد يجن وقال ماذا جرى منى فلم يجبه احد على سؤاله واودع السجن لتسفيره

وقد علمت الست المظ بهذه الحكاية وكانت لا تعرف هذا الرجل فاغتاظت غيظاً شديداً لكونها كانت سبباً فى خراب بيت عائلة بريئة وما كان أحسن شعورها العالي فقامت فى الحال وقابلت عمر باشا لطفى وقالت له ماسبب غضبك على مأمور ضبطية البندر حتى دعت الحالة الى نفيه فانكر منها الحقيقة وقال لها هذا رجل جاسوس ضد الحكومة . فقالت له بجراءة ياباشا انت غير صادق فى قولك وأنا عرفت السبب الحقيقي الذى دعاك لهذا العمل الشنيع المجرد من العدل والانصاف وأنا أؤكد لك ان ما وصلك من التهم ضد هذا الرجل كذب فى كذب وهو بريء منه وأنا ضميري لا يحتمل خراب بيت هذا الرجل من طريقي

ولما كان الرجل صار تسفيره وعمر باشا لطفى كان ضعيف الارادة

أمام معشوقته لا يحتمل دلالها فقالت له إما قطع العلائق بيننا ولا أراك
مادمت على قيد الحياة وإما عودة الرجل في الحال وبما كان الباشا المومأ اليه ليس
في استطاعته احتمال غضب معشوقته ارسل تلغرافاً في الحال الى الجناب الخديوى
قال فيه : انه من التحريات الدقيقة التي اجراها قد ظهرت براءة الرجل
مما عزي اليه ويلتمس من المراحم الخديوية العفو عنه والاذن بعودته
فصدرت الارادة السنية بالعفو عنه وعودته ولكن ليس بوظيفته بل يلتزم بيته
خارجا عن خدمة الحكومة مادامت حامت حوله هذه الشبهات. هذه نادرة
من نوادر حكام العصر القديم والفضل فى خلاص هذا الرجل يعزى الى
الاحساسات الشريفة التي ابدتها الست المذ رحمها الله رحمة واسعة

عصابات اللصوص

واتذكر من حوادث اللصوص حادثة اسردها على سبيل الفكاهة ، وهي انه انتشرت فى وقت من الاوقات عصابات اللصوص بالاقاليم القبلية وقد ساعدها على ذلك وجود زراعات القصب والاذرة ، وكان من بين هذه العصابات منصر كبير أتخذ مقراً له زراعة قصب بجوار بندر المنيا على مقربة من طريق عمومية واستخدم بعض الجواسيس لاعطائه اخبار المارين بهذا الطريق ، فيختارون من بينهم الاغنياء وحاملي البضائع وكل من يتوسمون معه غنيمة لهم . فينقض اللصوص عليهم ويسلبونهم مايملكونه بعد ان يوسعوهم ضرباً — وكنت اذ ذاك موظفاً بوظيفة وكيل الدائرة السنية بالوجه القبلي ، وكانت أعمال الدائرة السنية تشمل كثيراً من اختصاصات البلاد فى ذاك الوقت ، فحضر لدي جمع كبير من عمد وأعيان البلاد وشكوا الي فقدان الامن العام من هذه الجهة، وأن الجمهور أصبح مهدداً بالخطر من وجود هذه العصابة المسلحة فخابرت وقتها مدير المنيا (المرحوم خليل باشا عفت) وبلغته بما بلغني من هذا الموضوع بواسطة العمد والاعيان وطلبت منه عمل الاحتياطات اللازمة لضبط هذه العصابة الشريرة واراحة الناس من شرورها ، فاجابني بخطاب رسمي قائلا . ان شكاوي العمد والاعيان من وجود عصابة لصوص تعبث فى الارض فساداً لا حقيقة لها وانه مجرد وهم : وعند وصول هذا الرد لدي تصادف ان هذه العصابة قضت

على ارواح بعض التجار المارين فاندهشت من جواب المدير ورأيت انه لابد من ابلاغ الحالة للمعية السنية ولوزير الداخلية ، وكان اذ ذاك عبد القادر باشا حامي واوقفته على المخاطبات التي دارت بيني وبين المدير والفت نظره لضرورة استئصال هذا العنصر الذي أخل بالامن العام خللا كبيراً - فاهتم بالمسألة اهتماماً شديداً وحضر بالذات للمنيا وظهر له من التحريات ان المدير مهمل اهمالا تاماً في واجباته . وحامت حوله شبهات كثيرة حتى قيل ان له ضلعاً مع اللصوص - وقد تحصل الوزير على امر عال بناء على قرار مجلس الوزراء بعزل هذا المدير ثم اهتم ببحث مسألة اللصوص للوصول الى القبض عليهم فبينما التحريات كانت تعمل لهذا الغرض علم بذلك اللصوص فارسلوا زعيمهم مرتدياً رداء شحاذ متوكئاً على عصاه ودار حول القائمين بعمل هذه التحريات ليسترق منهم الحديث ويقول حسنة لله يا أسيادي — فقرع فيه أحد الكتبة قائلاله نحن في هذا والا في هذا - فالرجل الذي كان متواضعاً متمسكناً زمجر كالاسد الكاسر وشتم الكاتب بحدة يشتم منها كأنه ذو قوة كبرى وسلطة عظمى ، وكنت اذ ذاك انا الاحظ هذه الحركة عن قرب . فداخلني الشك من أن هـذا الشحاذ جاسوس اللصوص وهو منهم . وأخبرت بذلك وزير الداخلية وقلت له يجب التشديد على هذا الرجل حتى نقف على الحقيقة فقال لي الوزير اعمل كل ما يتراءى لك عمله فامرت في الحال بجلد الشحاذ المتنكر الذي قال لي في أثناء الجلد ارحمني وانا اصرح لك بكل شيء فأمرت بوقف الجلد فاعترف بانه شيخ المنصر وان المنصر مؤلف من أربعين لصاً من جهة نواح

وان اكثر المنهوبات والمسروقات التي استولوا عليها موجودة تحت كيمان البلاد وإنه يمكن إستحضارها ـ وبينما كان يعترف ويصرح بهذا كان بجوارى كاتب يدون الاعترافات وبعد ان أقربها أقر ختم على المحضر بختمه وقدمت هذا المحضر لوزير الداخلية الذى كان سروره عظيماً جداً لاكتشاف هذه العصابة وأمر باستحضار كل المسروقات كما أمر باستحضار جميع اللصوص وحول المسألة على النيابة والقضاء لتأخذ مجراها الطبيعي وكانت هذه الحركة خاتمة أعمال هذه الفئة الشريرة التي قضي وجودها زمناً طويلا على الامن العام . وبعد ذلك عم السلام وأطمأن الاهالى على أرواحهم وأموالهم .

هذه هى إحدى نوادر ذاك الزمان

ويوجد نوادر من هـذا القبيل لم نستحسن نشرها لان فيها مساساً ببعض رجال القوم فمن باب اللياقة صرفنا نظراً عن ذكرها





حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقي باشا
رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية والمالية

دولة صدقي باشا

خاتمة المذكرات

قد دونا ما بقى فى ذاكرتنا من الحوادث التى حصلت فى عهد سمو الخديوى عباس ، كما ذكرنا اسماء الوزراء والحكام البارزين الذين كانوا يشرفون على المصالح فى عهده وعهد أبيه وبينا مجهودات كل منهم

وقد اكتفينا الآن بذكر ماتقدم وجعلنا نهاية مذكراتنا لنهاية حكم سمو الخديوى عباس ، وان شاء الله سنعود لتدوين ما حصل فى عهد السلطان حسين وعهد جلالة الملك فؤاد الاول في فرصة أخرى لان الاعمال الجليلة التى قام ويقوم بها جلالة مولانا الملك المعظم تحتاج الى مجلد ضخم قائم بنفسه

قصدت بهذا تمجيد من لهم اعمال عظيمة في خدمة الوطن وذكر محاسنهم حتى ينسج على منوالهم من يريد خدمة المصلحة العامة

وبهذه المناسبة يحلو لي ان اذكر هنا بطريقة اجمالية ان حضرة صاحب الدولة إسماعيل صدقى باشا رئيس الحكومة الحاضرة له مآثر جليلة فى خدمة الوطن العزيز حيث فى عهده المبارك أنشىء بنك التسليف الزراعي الذى قام بأجل الخدم للبلاد و[illegible] وأنشأ أيضاً البنك العقارى الذى لا تخفى منفعته لمصلحة الفلاح وبمسعاه أوقف البيوع الجبرية للاطيان وبمسعاه أيضاً تم الاتفاق مع البنوك العقارية لتأجيل أقساط الديون المطلوبة لها مدة ثلاث سنين طبقاً للالتماس المرفوع منها لدولته. كما

أنه اصدر أمره بتقسيط سداد المطلوب للحكومة من السلف الزراعية على خمسة سنوات وسعى لتعزيز اثمان الحاصلات الزراعية والمصنوعات الوطنية بواسطة التعريفة الجمركية مما أدى لتحسين الضائقة المالية تحسيناً عظيما . وهو الذي بحكمته وفطنته توصل الى توازن الميزانية دخلا وخرجاً بدون ان يمس احتياطي الدولة مما يقابله الجمهور بمزيد الشكر والاعتراف بالجميل

وهو كما قلنا علم منفرد في فن الاقتصاد وحسن الادارة بعيد النظر دمث الاخلاق سياسي عظيم جداً مشهود له بطول الباع فى كل امر تولاه وهو الذى يدير دفة البلاد الآن ، كثير النشاط كبير الذكاء وخطيب مفوه بارك الله فيه وأكثر من أمثاله

وكل أعماله التى قام بها لمصلحة الوطن تنطبق على رغبات حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المحبوب ادام الله عزه وتأييده واقر عينيه بسمو ولي عهده وسائر أنجاله الكرام م